

البحر

مجموعة قصصية

المؤلف: د. حسنة البنداري
العنوان: الجرح (مجموعة قصصية)

الناشر: مكتبة بورصة الكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الرابعة ٢٠١٣

الناشر

بورصة الكتب



بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف - القاهرة

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٨٧٦٦

الترقيم الدولي: 978-977-5016-44-7

حقوق الطبع محفوظة

صدرت الطبعة الأولى عن لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ،
عام ١٩٧١

والطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،
عام ١٩٩١

والطبعة الثالثة عن دار الإبداع للصحافة والنشر والتوزيع ،
القاهرة ، عام ٢٠٠٨

تصميم لوحة الغلاف : للفنان عطية الزهيري

الرسوم الداخلية:

في القصة الأولى : للفنان د. كمال السراج

في القصة الثانية : للفنان د. زكريا الزيني

في القصة الثالثة : للفنانة د. زينب السجيني

في القصة الرابعة : للفنان د. سامي رافع

في القصة الخامسة : للفنان د. عبد الرحمن النشار

د. حسه البنداري

البحر

(مجموعة قصصية)

الطبعة الرابعة

الناشر

بورصة الكتب



مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٢٥ شارع شريف - القاهرة

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

البنداري، حسن.

الجرح: قصص/ حسن البنداري. ط ١. - القاهرة: بورصة
الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

ص؛ ٢٠ سم.

تدمك: ٧-٤٤-٥٠١٦-٩٧٧-٩٧٨

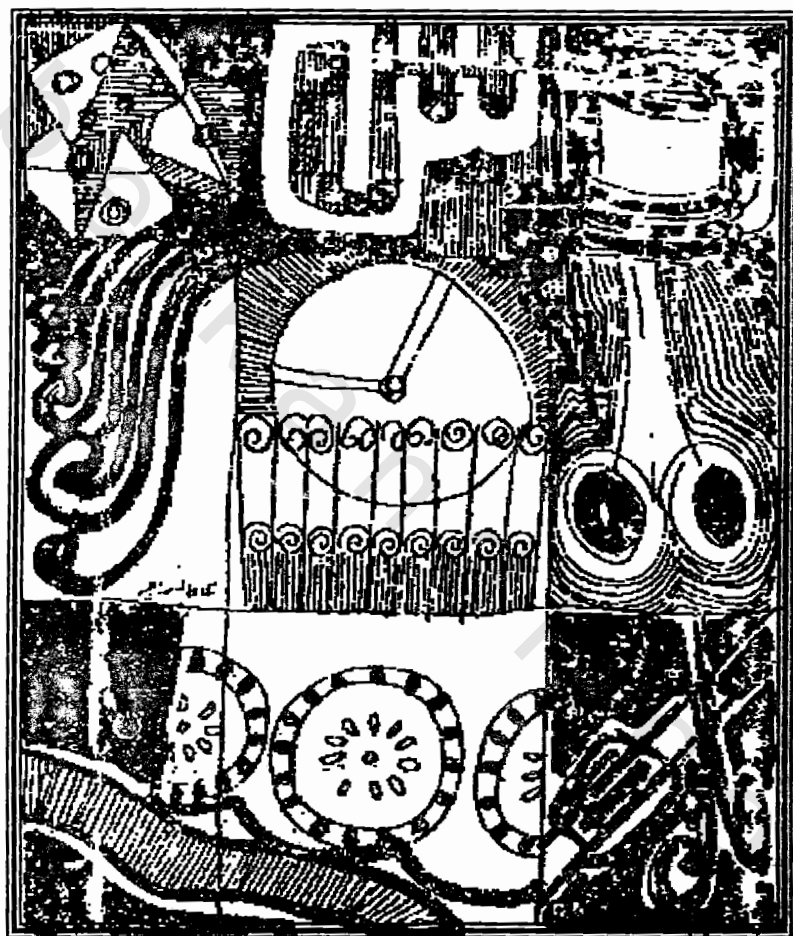
١- القصص العربية القصيرة.

أ- العنوان.

٨١٣,٠١

الفارس والعسكري

obeikandi.com



obeikandi.com

الفارس والعسكري

(١)

.. والميدان معبأ بالشمس . دائري . يبدو من الثالث
أكثر استدارة ، والجواد الشامخ مغروس في القاعدة تتوسط
السياج الحديدي القصير فوق خضرة ذات زهور رمادية ..
كانت بيضاء ، وراكب الجواد الشامخ ما زال يشير بكف
متصلبة إلى "ياقطة" الشركة، يرميني منذ ألف عام بنظرة
واحدة حمراء . متحدية ، كانت صافية. تثير في النفس
عواصف الغضب ، وعسكري الإشارة رمادي .. كان أبيض .
يتحكم في حركة البشر بلا سأم، فيتولى الميدان نظام رتيب

يضجرنى . تفرج الإشارة عن الطريق لتعود إلى شله من جديد. خرج النفس من الفم .. عاد النفس إلى الفم .. لعبة مسلية لمن يمضي مليون ساعة في الجو الشمسي، بينما لا تكف ساعة "الأوبرا" عن التذكير بالرجل! غادر .. غادر .. غادر .. غادر بي، غدر بي، غدر بي . لماذا بعد الأيام والشهور والسنين غدرت بي؟! ..

(٢)

أعيد أشعة عيني للحظة ثم أسقطها على المسافة الممتدة بين قاعدة التمثال وصندوق الإشارة. ضوئية. قصيرة . كان رجلى يشغل المسافة بطوله وعرضه . كان فخماً وجميلاً . بين الاثنين يبتسم وينحني فأقفز إليه. فما رأيت باب الشركة، ولا أحسست بهبوط الدرج . فقط بمجرد أن يبتسم وينحني أجدني بين يديه . يتأبطني فأصبح فوق الأشياء حالمة غائبة نائمة لا يوقظني إلا وجه أبي الطيب ..

يحييني أبى دون توقف عن ترتيلاته وأوراده، يدعني لأطفاله . مبعثرون في الصالة . يتسابقون نحوي بصراخ رفيع:

- أبله جت . هات الحلوى ، الحلوى، الحلوى .

فأستجيب للوجه الطيب والأصوات الرفيعة، لأنني عاقلة
ووقورة ومسئولة .

- المعاش قليل . قليل لا يكفي . علمتك لتقتي من حلول هذا
اليوم .

فأهرع إلى حجرتي أغلقها لأنسى ، لكنني سرعان ما أغمض
عيني فأضل في صفيح حاد بأذني، وكائن خفي لذيق قبيح
يرهقني حتى النوم على صوت ساخر بداخلي سمعته من قبل :
- يا فرحة الوقورة بالبيكالوريوس ، يا فرحتك .

كيف أفرح والرجال يأتون ، وينصرفون ، ولا يعودون؟! ،
فأحزن وحدي وأحزن، وأصرخ في سري وأصرخ : متى
يعودون ؟ متى تعودون ؟! ..

ولا أم لتستقبل الأسرار . بعد الوفاة وقبل الأربعين
أحضر الثانية أبي الحزين . همس بحزن :
- أنا أنفذ رغبة المرحومة .

هو ينفذ رغبة المرحومة!! ما جزاء الكاذب على
الأموات؟! . شابة وجميلة زوجة أبي . جسدها دائم الحركة
يتحدى كل البشر ، بينما أسأل مرة أخرى : لماذا لم يعد من

شاهد ، وقلب النظر في الجسد ثم انصرف ؟!. لكنني أصرخ
في سري : متى يأخذني ؟ . متى تأخذني ؟ . عبدة له سأكون .
عبدة لك سأكون . همست في حجرتي أثناء وحدتي .. أكلّم
صديقي الذي غدر : يدك جريئة وماهرة تزيل كل أثر . مسافة
طويلة قطعتها معك . فلماذا بعد الأيام والشهور والسنين
غدرت بي ؟! .

الثانية إلا الربع . ساعة الأوبرا دقت مرة واحدة؛ لأن
الساعة بلغت الثانية إلا الربع . أبعثر نظراتي القلقة في الميدان
تبحث وتتقب . أين رجلي أين ؟ . المسافة خالية بين مكان
العسكري الرمادي والتمثال المغبر . أين صديقي أين؟! . أنا
السبب . عملت بالوصية : "حذار من أن تفقدي احترام الرجل".
نصحتني كاتبة "حواء" فتبعتها ، "وصوني نفسك له" . كاتبة
المجلة نظرية قليلة الخبرة، ولّى صديقي .. هرب ولم يعد . لن
تهرب منذ الآن الحسناء . لن تستمع إلى نصائح أحد . الآن
فليعد الساحر ليحتوي المسحورة ، عُدْ . احتوِ المسحورة . الجأ
بها إلى الظلام الأخير ..

لكن الوقت سيمر دون لقائه كما مر زمن الأمس وقبل
الأمس وقبل قبل قبل ... أف . وأرفس الأرض فأهتز . اهتز

جسد الحسناء. الحمالة اليسرى على مقدمة الكتف . أتأملها
لبرهة وأبتسم. الحمالة سوداء تحت البنفسج. أرفع يدي وأعيد
الحمالة . وأجعل زجاج النافذة مرآة مؤقتة. أراني جميلة .
الصدر مشدود ، صلب وممتلئ. والحجرة والممر أمام الباب
يغلفهما صمت مريب. خرج الموظفون . خرجت الموظفات .
ينتهي العمل في الثانية . باق خمس دقائق .. خلت الحجرة
والممر وغلفهما صمت مريب ..

وفي صالة البيت كل ليلة أنصت في الصمت المريب .
استمع إلى أقدام حذرة خلف بابي المغلق ، فراقبت . راقبت
المرأة بجمالها الذي تحدى كل البشر . زوجة أبي تخرج من
الشقة، متلصصة حذرة في كل ليل مصاب بالصمت المريب .
لاحقتها . أنا جاسوسة ناجحة . أبي يا مسكين : المرأة عند
الجار . أبي يا طيب يا مسكين. صارت عينا الجار - أيضاً -
تشهيني .. أبي . الجار . احذر . شمشون يمسح شاربه،
ملطخ بروج المدام . لكن ما ألبث أن أسكت، أجتر صرخاتي
فأصاب بوجع الدماغ .. وعندما تحتويني عينا صديقي الذي
غدر أنسى كل شيء . أين صديقي أين ؟ لماذا بعد الأيام
والشهور والسنين غدرت؟! ..

الجو خال . الجو خال . ضلفة زجاج النافذة المفتوحة
 مرآة تعكس نصفي الأعلى أتأمله . هكذا كان ينظر صديقي .
 أترجع وعيناني في المرأة . أضحك ثم أعود إلى المرأة بينما
 نظراتي تنزلق من فوق البلوزة البنفسجية . هكذا كان ينظر
 الرجل ..

أدير رأسي بسرعة على حركة خلفي . خصلة من
 شعري الأشقر انفصلت . أعيدها وأنا أتابع الساعي مصدر
 الحركة الآتية من خلفي . أزرار صفراء . وجه أصفر .
 السترة صفراء مفتوحة . شعره بالصدر العريض مدبب .
 كثيف . أطمئن مرة أخرى على أزرار بلوزتي . لكن عيون
 الساعي تتكئ بجراً على صدري . يواجهني . عنيف . تتبعث
 من شعر صدره العريض المدبب رائحة غير عطرية . همس
 بوقاحة :

- افكرت .. إنك .. خرجت .

قلت في نفسي أبتسم : خبيث وكاذب لا أصدقك .
 وأهرع إلى مكتبي دون كلام راسمة ابتسامة جامدة . قال
 بوقاحة :

- دفتر الوارد .

أسند باطني كفيه على حافة المكتب . نظرت . ظاهرا الكفين
أخضران .. أجلس بضيق خلف المكتب متوقعة أن يمطرني
بأشعاره :

- "أنا أقرض الشعر يا آنسة"

فتساءلت معجبة :

- حقًا ! .

فتوالت منه الأشعار، وأنا أحب أن أسمع . وقلت :

- أنت موهبة مدفونة .

ويقول:

- إليك أيضًا هذه القصيدة .

فأسمع . وأنا أحب أن أسمع . وحدثت صديقي عن قصيدتي

الساعي : "الشمس المذبوحة" ، "القمر المطعون" ، وقصيدة

"الحزن الكوني" :

أبي أبي أحزان هذا الكوكب

ناء بها قلبي الصبي

فقال صديقي مستكراً :

- كيف ؟! ، لست له هي لشاعر كبير .

فمزقت كل أوراق الكاذب . أصبح به وأنا أمد يدي بدفتر
الوارد في ضيق واضطراب :

- الدفتر .

لكن لم يسحب كفيه . ظل يحفر في بعينه في صدري .
أضطرب : فليذهب الكاذب . فليذهب الكاذب . يغزو أنفي
عرق الصدر العريض المدبب غير المعطر . أصبح فيه
محتدة:

- تريد شيئاً آخر ؟!

فترجع دون أن يحول بصره عن صدري . ثم يسرع.
يجري . تابعته بغضب .. لا يهمني ساعي الصعيد الأصفر . لا
يهمني .. لا يهمني في شيء .. لكن سرعان ما غزتني نظرات
عينيه فأبتسمت ..

(٤)

أمد ساقِي راجعة بالمقعد إلى الوراق . إلى الحائط .
فبذت ركبتيّ مكتزة بلا عظام ، فأضحك وأعود بالمقعد .
أنهض وأمضي إلى النافذة . أنا راضية . أجلس فوق رأس
الفراس الشامخ . مركز مراقبة ممتاز ومناسب . فقط التمثال
والإشارجي وحركة الميدان التي لا تتوقف ..

ساعة الميدان المنذرة بالخطر تهرع إلى الثانية ، فأعيد
بصري إلى الزجاج المرآة يعكس وجهي الصافي الناعم .
وأذكر ؛ "الأندلس" . حديقة ضمتنا ذات مساء ليلي .. تحت
التعريشة المضاءة قال صديقي : أنت جميلة ولطيفة ورائعة .
أصدقه . ينسيني الزوجة الخائنة المحصنة بالقرص السحري
بعد أن ينام أبي العجوز . ويكرر صديقي : أنت جميلة ولطيفة
ورائعة . فسمحت ليده أن تمتد وتلفني، بينما ارتفعت الأخرى
إلى سقف التعريشة نقتلح المصباح . قال والظلام يجمعنا :

- لا أستطيع أن أتزوج . ويمكن أن يظل الحب بلا زواج .

فوافقت الحسناء . وافقت . لكنني مضيت غير قانعة
إلى بيتي لتغيبني أمواج الظلام المؤقت . نمت ليلتها حزينة.
لكنني ذهبت وقابلته في اليوم التالي . وعندما أعاد على سمعي
كلامه عن علاقة بلا زواج هربت من يده ونظراته رغم
إلحاحه وغضبه . وسمعت ليلتها صوت أبي: "قل للمؤمنات
بغضضن من أبصارهن" . وسمعتة يقول: الزمن الأول موعود.
صخور الجزيرة لوحنتها الشمس والريح . فصاح الثائر في
وجه المد الزاحف : أنذر القوم بأكبر الغضب . لكن داسته
الأقدام . أقدام لا ترحم داسته ، وأخرسته أيد صنعت باب
حديقة مشبوهة . .

بباب الحديقة يا أبي عسكري يقطع تذاكر العشاق .
يدخلون إلى "التعريشات" المضاعة المظلمة . تعلو رأسه لافتة :
"رسم الدخول ٢٥ مليماً" . نظر إلينا بخبث وأفسح الطريق .
وسمعت صوت أبي يقول : "وليضرين بخمرهن على
جيوبهن" . أنا مستعدة . لكن يا أبي ستحاصرني ساخرة شفاء
المدينة العصرية بكلمات : تطور عكسي . خالف تعرف .
حركات . وأنت يا أبي يا طيب : هل تجد العون في القراءة ؟!
بصمات شارب الجار على خدي المرأة المهتاجة لا تزال .

(٥)

دقت الساعة دقتين : أصوب إليها بصري . أتوتر
أرتجف ؛ الثانية . وأعيد مسح الميدان من جديد . "ياني" . لا
أثر للرجل . "ياني" . وتتفص الشركة الآن لتبدأ في الخامسة
الفترة الثانية . "ياني" . وكنت أول الخارجين لأراك ولكني
صرت أتلأ لأكون آخر من يراه الساعي يغادر الأبواب
الثلاثة . المكتب والشركة والعمارة ..

(٦)

أندو من المكتب . ألتقط حقيبتي السوداء . وفي الممر
الضيق يلاحظني الساعي الجريء الكاذب بعينيه النافذتين
وبحاجبيه الأسودين الغزيرين ، وصدره العريض المفتوح عن
شعره الأسود السلكى المدبب ويقول ..

- مع السلامه .

يطيل اللام . جرىء .. أفهمك . أجيب بهزة من رأسي
وأواصل السير . في دقائق صرت في الميدان .. أتعجل نور
الإشارة الأخضر لأنماع في الميدان الدائري يتلقى جلد الشمس

بصدر رجب . الشمس لاذعة . سواده تغرس فيه عجالات
السيارات، ونعال الرجال المسطحة وكعوب النساء المدببة.
الميدان من تحت أكثر اتساعًا..

أرى الإشارجي الرمادي .. مرهق ومتعب . بدلته
رماديه .. كانت بيضاء . دائم التطلع إلى الفارس الشامخ كلما
وثب النور الأحمر، وإلى المشاة المنتظرين . تتوعد عيناه
المخالفين . الجزاء الرادع مصير كل متمرّد يكسر الإشارة
الحمراء ..

الإشارجي الرمادي .. كانت ملابسه بيضاء . يقذفني
بنظرة : لم يأت يا آنسة . ونظرة : أعرف ما بينكما أعرف .
فأمشي يضايقني ملح الوجه ويؤدي أذني الضجيج. لكنني أنسى
الملح وأنسى الضجيج بذراع تلفني ، آه ؛ سعت إليك دون
إكراه بعلم أبيض . دخلت منزلك بلا فرحة . حطمت جدران
خوفي . أستجبت لكلامك الرقيق . لكن رأيت تصميم عينيك :
أردتني بلا ورقة!! . هربت برقة ولم أغضب . قالت نظراتي
وأنا أودعك .. رغم كل شيء أنا أحبك . لكنك تواريت عني
تواريت .. فلماذا بعد كل ما كان بيننا تتوارى عني؟!

(٧)

لم يحضر .. أخلف الموعد!! . لكن لن يعوق الحساء
شيء . تبحث عيوني عنه . أنظر للعسكري وأمشي . احجزه
يا عسكري لو حضر . قل له إنها هنا تنتظر . فهم العسكري:
ابتسم . أقصد السور القديم أقلب الكتب بيدي بينما عيوني على
الميدان الخالي منه تبحث عنه .. تركنتي يده يوماً والنقطت من
سور الأزيكة كازانتزاكي . تأبط "زوربا" بعد أن دفع الثمن .
لاحظ غيظي ونحن نبتعد عن السور فأهداني الرواية : "إلى
حسنائي فقد تجد في هذه الرواية إجابات كثيرة" قرأت وقرأت .
فحفظت سطور الرواية ..

(٨)

الآن تعبت عيوني، وعرق أغسطس يسيل .. يتجول
بحرية، وما من ظل يقي وجهي الأبيض . العيون خضراء
حساسة تعاني من الشمس . وهاهو يقول :
- أنت جميلة جداً ، ومثيرة جداً .

فأحبيته نلنلقي بالأيدي والعيون . ويحملني بعدها الترام
القديم إلى حجرتي المحكمة : "كامن في القلب كمون النار في

الحجر". وتشدني المرأة فلا أهتم "أخفي من أن يرى وأبين من أن يخفي". ملابسني . "السر الممنوح ميراث الزمن الأول".
تنشط في الظلام كائنات غير منظورة . "أومن كان ميتاً فأحييناه". لست بقادرة على الهرب من كلام أبي الطيب المسكين . لكن لا يلبث أن يطوى صوت أبي الصغير الحاد، والظلام الثقيل ، والكائنات القبيحة في ظلمات الليالي الطويلة الموغلة في الطول ..

(٩)

محطة الميدان الثاني تحتضن الزحام الملون . الناس كثيرون . الترام القديم الصاعد إلى القلعة تركبه الحسناء . شبكة الأسلاك الكهربائية المعلقة حاجز بيني وبين الزرقة . لكنه "كامن في القلب كمون النار في الحجر" . فقال صديقي : "لا أمل في الوصول ما دامت الأسوار قائمة" . فقلت لصديقي : لكن "الثائر" صمد، ولم يمنع المد الأسود من توالد الأتباع . فصاح : "اسمعي : ماذا صنع المعلم في زوربا؟" . "النيرفانا" خرافة . لقد أخرج نفسه من دائرة الظل . لقد قادها إلى الجسد" . سكّت . خفت . لم أعترض . استلمت لكلامه . رفعت العلم . لكن كاتبة

حواء سرعان ما أطلت وأنا في حضنه تذكرني فهربت..
هربت. آه.. كاتبة قليلة الخبرة! ..

(١٠)

الثانية والنصف . ساعة البريد دقت . حبيبي على كف
عفريت. في نهاية الترام فجرها قنبلة وقت الغروب. أكره
ساعة الغروب .
- "عزيزتي قللنه ما بيننا".

صمت لم أعترض، وأجبت في نفسي : يغضبك هروبي
وسوف يرجع إليك عقاك ، فلتباركني كاتبة حواء . في قلب
الليل جلست وحيدة أندب حظي العاثر . فلتباركني كاتبة حواء.
بكيت حتى بهتت عيوني الخضر من البكاء. ذهبت إلى الشركة
بعيوني الباهتة، صحبتني "سورمولينا" أرملة الرواية . امتنعت
سورمولينا على الرجال وأرادت المعلم . ساعي الشركة اللئيم
تحول إلى "دلال" بجرس . فتطوعت عيون محمومة لمرافقتي
ومراودتي . وتأهبت في الرواية عيون رجال الجزيرة ونسائها
للعمل . وازداد الساعي صاحب الأزرار الصفراء جرأة . تدنو
وتدنو وتدنو مني الأفواه، يدنو من زوجة أبي كل ليلة جارنا
الشمشون ..

العفريت جالس فوق سطح مظلة المحطة . يده خالية .
يبحث عنه مثلي ! . المحطة حضر إليها الترام . لكنني لا
أصعد إليه . أصدع إلى سطح المحطة باحثة عن رجلي أفتش
عنه في الألوان المتعارضة والأحجام المتضادة . أنا تعبت ،
وأنا وقور ، وأنا لا أستريح في نومي ويقظتي ، وأنا وقور
يشقيني الصمت والضجيج . لكن خلف بابي المحكم المغلق
يستبد بي الشوق فيتهاوى وقاري المزعوم .

عجلات الترام القديم لا تدور . قلت الأيدي الصاعدة
والهابطة . ينتظرنني ؟ . أسمع صوت العفريت الجالس فوق
السطح : رجلك هرب ولن يعود . لكن اصبري سأتي به إليك
في طرفة عين . أشكرك . أشكرك . أهم بالركوب .. أراجع ؛
فلأرجع عائدة أمشي في نفس الطريق ؛ ربما ألقاه .. لدي ما
يشده إلي . محفور في سمعي همسه : أنت نادرة وجميلة
وأصيلة وبنت ناس .

أغادر المحطة . أنساب في الشارع . ظهري للميدان
وللعفريت . أمشي على خطواتي السابقة متلكنة .. ها هو

الميدان خال منه . عيناى على سناىك الجواد الرمادى . أنا
يئست. لا أحد يشغل المسافة بين قاعدة التمثال وصندوق
الإشارة . لم يجرئ صديقى . تسخن أذنائى. وفكرت : الشركة
مالت عنها الشمس . ساكنة لا يغادرها الساعى. قادم من بلاد
الصعيد . الشركة عمله ومسكنه . نزلت من قلبه الشكوى ذات
يوم . صدقته وهو الكاذب . ملت إليه .. الآن أنا لا أصدق لا
أصدق الكاذب. لا أصدق الساعى . لا أصدق أحداً ..

(١٢)

أتجاوز الميدان بصدر ضيق . أنا مرهقة . أنا مرهقة .
أنقر الرصيف المؤدى إلى الشارع التجارى .. شارع فؤاد.
"زوربا اليونانى" بالخط العريض . إعلان سينما أخلفه ورائى .
الرجال فى الشارع أقل عدداً . النساء أكثر . ما سر إشارة
الفارس الرمادى ؟ أنا أتساءل . الإشارجى يتساءل . نحن
ننتظر الجواب . بطل بطل ، فتح بلاد العرب ، داس الثوار
بسناىك خيوله المقتحمة ، بطل بطل . ماذا لو تبادل المكان
العسكرى الرمادى والفارس الشامخ ؟! حلم لا أستسلم له .

سورمولينا أحسنت صنعًا . "كاتبة حواء" قليلة الخبرة . أرفض نصائحها الآن .. أزيح مجلة حواء بلا ندم ..

الشارع صاخب شديد الحرارة . لا أصبح فوق الأشياء . يضايقني الحر . ذراعي لا تعابثه أصابع الرجل .. "كايرو بالاس" . زوربا اليوناني في ثلث الشارع الضيق . على جبهة مبنى السينما يرقص أنتوني كوين البطل رقصة الألم.

أتجاوز الناصية . أتهدى إلى باب السينما . عيوني على أقدام العجوز الراقص . "أنتوني كوين" . "سورمولينا" . "المعلم" . الرواية . الصور . والساعة في معصمي قديمة غير ذهبية وغير فضية . الثالثة . و"كايرو بالاس" تحمل أجمل الذكريات ..

(١٣)

أصعد الدرجات الأربع . أدخل . أمرَ بنظرات شاب هم بمعاكستي . اندفعت بوقار إلى الردهة . نسيت الشاب . تقودني "بطارية" القاعة المظلمة إلى رقم المقعد . ياه . متطرف . بجواره مقعد خال . وممر دابط . أجلس والتكيف يخفف من

الطور الممتزجة بدخان السجائر . أنفي يستقبل الرائحة
الرطبة . "حاجة نرد الروح" ..

خدر لذيق يريحني فأرخى جسدي . أفرد ساقَيّ تحت
المقعد الأمامي . أتبين بعد المقعد الخالي - صبية بنظارة .
ضعيفة البصر . لم يشغل المقعد الخالي بعد . ليكن الشاغل
رجلاً . والممر الهابط لا تطأه قدم . ليكن الشاغل رجلاً ..

تشكيلة الرعوس تتابع الآن الفيلم الهام . حسن . المعلم
البوذي في المرفأ . ، طرح العالم الأمتل . "وكنّت يا نفس
تكتفين بالظل ، أما الآن فسأقودك إلى الجسد" . ينتظر المعلم
إقلاع السفينة إلى الجزيرة . زوربا يحتضن "السانتوري" .
يتوقف عن العزف . يصبح بصوت أجش : "أقوم بشئى
الأعمال . بالأيدي بالأقدام بالعقل ، فقد تكون نهايتنا عندما
نختار عملاً واحداً نقوم به" ..

الأمواج المخدرة تشدّد ، يدعوني السقف المظلم إلى
النظر : أنا ضيّقت بالمشاهدة . جفناي يحاورهما النوم :
أطرقت . غفوت مدّ يده في القاعة ولمسني فجعلت أنسج في
العلم . "زوربا يرى الدنيا بعيني فيل كما لو كانت الرؤية لأول

وأخر مرة" هكذا قال المعلم . "أنا لا أؤمن إلا بزوربا لأنني
أملكه وأعرفه" هكذا قال زوربا .. ليت صديقي يشغل الآن
المقعد الخالي ..

(١٤)

أفتح عيني على "زوربا" وهو يغري المعلم بلباء
الأرملة. "سورمولينا" يتتبعها رجال القرية . هاموا بها. مزقوا
ثيابها . بصقت على الأرض أمام الرجال اللاهين بالعنزة .
"أشكرك" قالتها للمعلم عندما فتح لها مظلة المطر. "أشكرك"
بلبلت أفكار المعلم . بخلق المعلم في "زوربا" الراقص . أبطلق
في "زوربا" الراقص . قال زوربا "مات ابني .. مات ابني .
فتغلبت بالرقص على الفجيرة" . قال زوربا : "وقالوا : جن
زوربا . جن زوربا". قال زوربا يكلم المعلم ويكلمني "لم
أرقص لمت" ، فأمضى المعلم ليلة الفصح عند الأرملة لتنتشر
في لحظة الهمة المحمومة، بينما رأيته أهرب من صديقي
الذي غدر . سمعت النصيحة ..

ما زال الممر الهابط بلا أقدام . لم يأت صديقي الغادر.
لم يأت أي رجل . بينما جارتي الصبية تسحت نظارتها

الطبية. خائفة على الأرملة. ربما . "سورمولينا" تتلقى الحصى
- صابرة - يوم عيد الفصح . ارجموا العاهرة . ارجموها .
القرية كلها خرجت للرجم . ارجموا العاهرة . ارجموها ،
انتقامًا لشاب أحبها وشاهدها في حضن المعلم فانتحر . أهب
واقفة . أغادر القاعة . تعرف قدامي الطريق ..

(١٥)

تسلمني الردهة إلى الباب . يفحصونني . تنزلني
الدرجات الأربع . لا تكيف . الحر يلفحني وأنا أبحث عن
الشاب الذي تردد في معاكستي . أريده الآن . يجردونني .
جماهير الحفنة القادمة . "سورمولينا" هام بها كل الرجال . أنا
حسناء وأحب أن يتعقبني رجل .. ذهب رجلي الغادر ولن
يعود . تتكرر . "فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي
في الصدور" . وتقول إنك أردتني فلم تتخلى؟! . "إن جسمي
ليس إلا مرضًا وجريمة وشيخوخة وموتًا" هكذا قال "زوربا" .
والشجرة الجرداء عجزت عن حماية المرأة المحاصرة
بالصخور والعيون . وقال في أنفي وهو يحتضنني في مسكنه:
"ما بيننا أكبر من الورقة" . وقال "زوربا" "الاتحاد الشرعي ليس

له طعم . إنه طعام بدون بهار" . وقتها كان بيننا صوت أبي
وكاتبة حواء ..

عيون الحفلة القادمة تطاردني . نسيت "سورمولينا"
زمن الحرمان بالمعلم القادم من المدينة . فليتبّع الحسنة الآن
رجل . ونقول إنك أردتني فلم تتخلي ؟! . فليتبّع الحسنة الآن
أي رجل . وابتسمت وبكت الأرملة في صدر المعلم القادم
من المدينة على مرأى ومسمع من الشاب المتلصص .
آه . أود لو أعود إلى البيت الآن كي يتلو أبي في سمعي قرآنه
وأوراده ..

أقدامي تسرع . الرجال جميعًا يسرعون لكنهم يعبرون .
يتجاوزون . يختفون لا يطرقون بابنا بعد أن عاينوني . لا
يعودون . فلماذا لا يعودون ؟! ..

وأنت يا صديقي الذي غدرت : غضبت فلم تعد . هل
يمكن يا أبي أن يعيد صوتك الطيب من عاينني أو من
غضب ؟! ..

(١٦)

يلوح لي جزء من السور القديم الدائري . بصري عليه . أفحص الناظرين والمشتريين والمحركين للكتب القديمة . ليس بينهم .. أنظر في ساعة معصمي ؛ الرابعة . باق على العودة إلى الشركة ساعة . فلأشاهد الكتب وأقلب حتى الخامسة . لا . لا . في أنفي رائحة القاعة . المعلم شم رائحة "سورمولينا" أحتاج الآن إلى سيجارة . أضحك . لم يسبق لي التدخين . فلتكن الأولى والأخيرة . فلتكن الأولى والأخيرة ..

(١٧)

أغشى ميدان التمثال الرمادي . أتضايق . أزداد ضيقاً بتقلب أمعائي . "ساندوتش" الظهر راح مفعوله ؛ نقري يعلو ويعلو . أرى العسكري الرمادي يباشر ويقاوم ، بينما التمثال تمثال . السيجارة بفلتر صحيحة .. فلتكن الأولى والأخيرة ؛ "تتحرر من الشيء بالشبع منه" . زوربا الصغير سرق أباه . سرق الكرز . شبع من الكرز فانتهت متاعبه . وأضحك في نفسي ضحكة الأرملة أمام المعلم وأنا أطلع إلى يافطة الشركة . حجرتي مطلية

على الميدان وهادئة الآن . استرخاءة السينما لذيدة، حبرتي
مزودة بمروحة ولا أحد بالشركة سواء . وأكسر الإشارة الحمراء
عابرة الشارع متجاهلة غضب العسكري الرمادي ..

(١٨)

أمشي إلى المصعد . أدخل . مكتوم . وعرفي ينساب
بلا رادع. مسامي هي السبب . تلتصق البلوزة بظهري .
المروحة تزيل كل أثر . تجفف . فليسكب أبي الآن في سمعي
قرآنه وأوراده . "أبي أبي . أحزان هذا الكوكب" كاذب كاذب
ساعي الصعيد . لا أعبا يا صعيدي بجرأتك، ولا بصدرك
العريض الأسود المديب ..

أخرج من المصعد . عصبية . قبل أن أضغط الجرس
انفتح الباب عليه . أفسح لي . الرابعة والربع . قال :
- رأيته .. وأنت .. قادمة ..

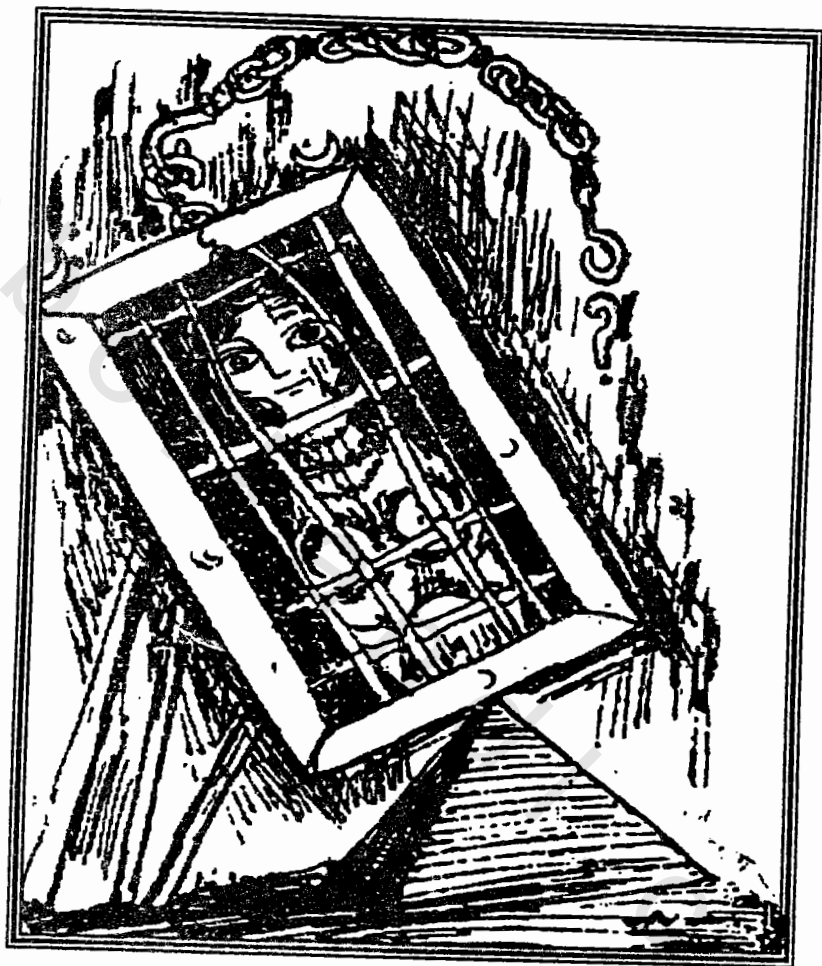
لا أجيب . أجري إلى حجرتي الساكنة .. وأرمي
بالحقيقة وسط الحجرة ثم أفزع إلى النافذة بعد أن شغلت
المروحة ..

أفتح النافذة . أطل على الميدان . أبصق عليه وأنا
مغمضة العينين . لا أرى شيئاً . في لحظة العمى رأيتني أمام
المرآة في صمت حجرة منزلي . لطمت أذني أمواج صفير
عائية . لطمت صوت أبي الطيب . برزت "سورمولينا" تلتقي
بالمعلم . وأدخل كل أصابعي في أذني لكيلا أسمع دبيب
الخائنة، ولكن عبثاً أحاول . وتقول "أنا أريدك" فلم تخليت ؟
وتقول : "كوني" فأكون . فلم غدرت؟!..

كم أتوق يا سيدي إلى الصمت الأزرق!! . لكن الكف
الملعونة ترتفع إلى رأسي بالشراسة والقسوة . فأرتد مذعورة
إلى الوراء . والمروحة تطيرني إلى الممر فأطير . ويطير
الساعي . وأجري في الممر ويجري خلفي الساعي . أتعثر
فأسقط . ويسقط لينغرس في صدري صدره المدبب . أشم أغلى
الطور . "جسمي مرضاً وجريمة وشيخوخة وموت" . وها هو
الفارس الشامخ يتململ . ينفذ عن جسمه وجواده الرماد .
صار التمثال أبيض . ينزل الفارس عن ظهر الجواد . أراه يقف
بجوار السياج الحديدي . صارت زهور الحديقة بيضاء . فيخلع
العسكري سترته الرمادية . صار العسكري أبيض . يلوح له .

يستقبله يسلم الإشارة التي ثبتت على اللون الأخضر . انفق
الاثنان على المبادلة . صعد العسكري إلى قاعدة الفارس
الشامخ وامتطى الجواد . نزل الفارس عن جواده وشغل مكان
العسكري ..

نوفمبر ١٩٦٦



obeikandi.com

أغنية

obeikandi.com

أغنية

افتح عينيك :

الأسدان في حراسة مدخل الجسر . أقترب من قاعدة
الأسد الأيمن . . أجلس ، أسند ظهري إليها وأنتي ركبتني . أريح
عليها ذراعي . في يدي اليمنى سيجارة مجهولة الصنف .
أهدأ: لم تعد تزعجك الآن الأصوات المتضادة. تحررت من
الاسم والثوب والجلد منذ ألف سنة إلى خمسين . نوح أسلمك
الزمام وولّى . من كل زوجين اثنين . سجينة في الفلك عناصر
الخلق . فتم فوق الطوفان. فعلت وأنا أسأل عن السلامة
المضمونة .؟

افتح عينيك :

عرافة مسنة أنبأتك أن المصير حفر قديماً في جبهة
كهف طمسته الأمواج . لم تصدق النبوءة . أعددت العدة.
وزودتك يا ولدي بمعارف سرية ، فقابلت يا ولدي مسعاي بأن
الغرب يا أبي هو موطن المعرفة والسلامة ، لم ترد غيره
بديلاً. لكن ما لبثت أن تبددت معالم الغرب المبتسم، فانصرفت
متحمساً يا ولدي عن الأحلام الواعدة :

- لا مفر يا أبي من مواجهة واقع أصرح من أن توصل في
وجهه العيون والآذان ..

فجاءت العرافة ، أخرجت لسانها العرافة، أشارت بأن
أطلق البخور الهندي ثم أمرتني قائلة: "ألجم لسانك" ، فألجمته .
قطعته . وسفحت دموعي على الأقدام المباركة ألف سنة إلا
خمسین . وكلما دعاني "كنعان" رحلت . متى عاد "كنعان"
عدت . فمتى تعود يا "كنعان" لألغي كل المحاولات ..

افتح عينيك :

فأفتح نصف فتحة . أنظر بنصف يقظة . الزحام
يزحف إلى المدخل المحررس بالأسدين . اعفوني . لست أريد
جمهوراً ولا أحب المجاملات، المهم أن أعيد "كنعان". ويصبح

بي رجل : انهض . فأنهض . ويصيح بي آخر : امش ،
فأتحرك ضاربًا أسفلت الجسر . أنظر إلى قدمي . أتبين ضياع
فردة حذائي اليسرى . لكنني لا أعبأ . أتحسس رأسي العاري .
فلا غطاء يدفع عن صلعتي سياط الشمس . لا ظل . لا ظل .
وألأظ سيجارتي المجهولة الصنف لا تتضاءل ، فأهرسها
بقدمي ..

افتح عينيك :

أعور يحب أنثى فوق الجسر . يستندان إلى السور ،
يضحكان بدون سعادة . أضحك . أعطيها ظهري . أمضي
مبتعدًا عن المدخل . حلقي جاف . هل أستجيب الليلة لملهي
"هوليود" ؟ أتحمس للشرب . ينسى سريعًا موجات الأسى ..
خاطبني شبح بالملهي وأنا أشرب . حدد المكان والزمان لكنه
أخلف الموعد . أنا أتحمس للشرب . لا أمل . لا أشكو . لا
تزال في جسدي قوة لا أبخل بها . والأرض لم تعد راحة .
ضاقت . يمكن ارتيادها في ساعة . أنسى نفسي بالخطوات
العمياء ..

"الأسود الحداد . أحمر وتورم خدا زوجتي ، تساقط لحم
الخدين ذات صباح . في لحظة غيبية مبهمة لطم الموج الصخر

ألف مرة . في لحظة تالية غبية ومبهمه اجتهدت في فهم أشياء
فلم أنجح . سيان أن تكون تسلية أو لا تكون. نوح فعلها .
أسلمني الزمام . لعنته حلت بمدينةتي المشرقة . هل أنا المسئول
عن لسانه عندما شكأ؟ . رفضتني المدينة رغم حاجتي إلى
نسيان الخبر الخطير . نشدت إجام قهري في ليلها المرصع
بالأنوار الملونة بينما كانت امرأتي تلزم زنزانتها تنتظر عودتي
ببقية الجسد .. لكن أمرني صوت مقهور بأن لا أعود؛ امرأتي
الحزينة المكبله بالسوداء زهدتني " ..
افتح عينيك :

ضحكات الأعور فوق الجسر تطاردني وتجاريه
ضحكات الأنثى . غير سعيدة . أقف بغيط أباكم . تدفع
قبضتان وتكسر الرقبة . أخلص الأنثى المقهورة . لا تتكسر
الرقبة . تزداد الضحكات المتحدية ؛ لأنني لم أغادر مكاني ، لم
أقدم نحو الأعور خطوة ، ولم أعد ببقية الجسد الذي بعثرته
قنابل الغدر .. وامرأتي القابعة في الزنزانة تنتظر عودتي .
لكن "هوليود" كان البلمس الشافي الذي أنشد فيه السلوى ..

"كانت القاعة مزينة . وكان دخان أزرق ذو
رائحة معطرة ينهمر فوق الرعوس السعيدة .

أراحني . كان اللحم الأبيض كثيرًا . الرجال
والنساء هنا لا يفهمون . نظروا إليّ..
صاحوا : غريب . غريب . تكلم التراب
والعرق والجفاف . تركوني شفقة أو إهمالاً .
صرخت . تقيات دماً على قفا سيدة بيضاء..
صرخت . صفعتني . فانفجرت رأسي بسباب
لا ينقطع . ثم ضحكت حتى توقف قلبي .
فتعالت صيحات الاحتجاج، وشتائم تستنكر
وجود القادم المتطفل .

- ماذا نفعل ؟

- نشنقه . ليكون عبرة لغيره .

- ضايقنا .

- أفرعنا .

- تسبب في اختلال السهرة .

لقد أثرت اللحم الأبيض . هل يحترق؟.
زوجتي تركتها في الزنزانة محتشمة متشحة
بالسواد والحداد . أوقفت الأصابع والنظرات

المتحرقة، فتجمد الصباح الضاحك على
الوجوه الكرنفالية . شواهد تدين ولا تبرىء.
وصرخت بصوت ذي صدى.

- مات .. م - - - - - ت .

فتسابقَت صيحاتهم:

- اطرده .

فقلَّت أستفسر :

- هل يمكن أن أجده هنا ..

فتسابقَت صيحاتهم :

- ارحل . ارحل . ارحل .

فقلَّت من بين دموعي :

- ابحث عنه . أحتاج إلى مساعدتكم .

فتقدم رجالان بعضلات قوية . فخفت .

انكمشت . وهمست لهما:

حكم الإعدام شفقاني بحبل يتدلى من فرع
شجرة خارج هوليوود" ومضيا إلى الداخل" ..

افتح عينيك :

طوق بشرى . رعوس على رقاب مطاطية تهتز .
تتهال منها نظرات لا تريح . ماذا حدث ؟ أنا أألم وأختنق .
ومت مرة أخرى . ينفخون في فمي بقصد إعادة ضربات قلبي
المهاجرة . يريدون إنقاذ المجني عليه . لا تزال السفينة المثقلة
بالخلق تسعى إلى المرسى . مجهول . لا شيء محدد يدل على
أن الأمور لم تتحول إلى الضد . يقابلونك بملامح رواد الملهى
الليلي . الجاني مبهور . يقطع شعر رأسه غيظًا . تفضحه
عيناه . رفعوني من أمام السيارة التي صدمتني . وضعوني
فوق الرصيف ، يا ناس . يا ناس : هو المسئول . وهو
المسؤول . رمى بنفسه أمام عجلاتي .

ربما . ولا اهتم بما أسمع من همس جانبي متضارب .
أنهض . أرى أشلائي الملوثة بدمائي الدافئة . وأقف على
جوفي المبعثر وأغني :

"توزعت الألوان المتضادة خلال رتابة
نظراتي ونحن نحاول أن نصدق الخبر أو
نكذبه . لما جاء المندوب وقال: "إن ابنكم
ضرب المثل في البطولة والفداء"، صدقتُ
زوجتي ولم تصرخ . خلعت الألوان وارتدت
الحداد . تربعت فوق بركة من الدماء، ومع
ذلك طالبتني بوجه أصفر بأن أشد الرجال
بحناً عن البطل لأعيده . ولما أقول لها إن
كنعان لم يعصمه الجبل - تقول بعينين
باكيتين : ارحل ارحل وعد به . ارحل
بعيون مبيضة كعيون يعقوب. فهل نجا ؟
ارحل ارحل بحزن يعقوب. فأتمدأ في
الرحيل لقاء أن تبسم . أنا وزوجتي نتبادل
الضجر حتى يرجع الغائب الذي بالقطع لن
يعود" ..

افتح عينيك :

أنا في منتصف الجسر . يأمرني شبح في نهايته :
"أسرع" فأسرع. أركب الرصيف هذه المرة . أخاف الموت.

الغرق . عبرت اللحظة العاقلة، أغشى الفلك التائه وسط
الأمواج . أسمع بغير فهم الطنين . أرغب في الجلوس على
حافة السور أحاكي أنثى الأعور . لا . لا . أمشي . أجتف فوق
مشاة الجسر بينما قرص الشمس مُحكم فوق صلعتي . قال في
أذني تحت قرص الشمس "سوف أعود" . تركني ومضى قليلاً .
ثم رجع . قبلي فاحتضنته بملابسه العسكرية . كان متفائلاً .

"ذلك الصباح لم يكن صباحاً عندما أتانا النبأ
العظيم . كنت قبلها بقليل أعاني من وهم
وقلق . كنت أرى الحداد واقع لا محالة .
هجوم الأعداء في حرب غير متكافئة . لما
تأكدتُ من الخبر بحضور المندوب قبضتُ
على الهواء صائخاً دون أن يخرج مني
صوت . وكان نسيج عنكبوت يزحف نحوي
بجسارة وأنا أودع المندوب العسكري .
نظرت في النسيج الذي أخفى ملابس
المندوب العسكري . وجعلت أتساءل عن
السلامة المضمونة . وقال شبح في أقصى
الشارع المظلم "لقد نظر من ملكوته فإذا

الأرض قد فسدت" وقال : "اصنع فلأنا
وارحل بهم بزمان لا تعرف نهايته" . ولما دنا
النسيج أكثر وأكثر رأيت خلق السفينة
يأسفون عندما عادت الحمامة المخلصة ؛
أخفقت الحمامة في الوصول إلى الجودي ..

افتح عينيك :

ها هو أخيراً مخرج الجسر . في حراسته أيضاً أسدان .
لفظ القار المغلي بخيوط الشمس آخر خطواتي . وداعاً ..
وأبتسم لانكسار الطوق البشري . غابت الرقاب المطاطية
المتحلقة . وعلى أن أسعى خلفك يا ولدي، كما سعوا بحثاً عن
الجودي . ولكن اللقاء يا زوجتي العزيزة السوداء عزيز .
أشم الآن البخور الهندي . أطلقها يا ولدي في رواحك وغدوك:

"كنت أرتفع مختالاً إلى قمة برج الجزيرة
أتربع فوقها وأنا أسمعهم يتحدثون عنه .
ولكنه فاجأني ذات يوم بسعادة غامرة . كان
الأعداء قد اقتربوا كثيراً من شاطئ القناة.

تمركزوا بعتادهم وسواترهم واستفزازاتهم
على شاطئ القناة . قال :

- أنا سعيد باستدعاء الجيش لي .

ولما قلت له:

- وأين أحلامك يا ولدي

قال ضاحكاً :

- الواقع على شاطئ القناة أهم وأصرح
وأبلغ . هناك يا أبي أمارس بحق حريتي .

ودعته مقهوراً . "عرايا خرجنا عرايا نعود".

ولما قلت له :

- هل أنت سعيد حقاً ؟

أجاب بكل الحماس :

- "لا ندخل العالم بشيء ، فلا نخرج منه

بشيء" ..

افتح عينيك :

فأفتح على المبهم المبهم المبهم . الأعور يطارد
الجميلة. يقتربان من المخرج . يتشاجران بعد أن طارحها في
المدخل الغرام . يد تقبض على أنفاسي . كان همسه لها طينياً
يدمني . أود أن أغني . فدعوني أغني . أحن لعرافتي لأريق
تحت قدميها قرباني . قالت: "المصير واحد وواضح ومحدد"
آه. المبهم المبهم المبهم. دعوني أغني !.

- ابعد عني .

فهوى بكفه الثقيلة على وجهها الجميل وهو يصرخ .

- ساقطة .

آه يجلسون في قاع السفينة ينتظرون البشارة . أسمع
صفعة ثانية ذات صدى . الأعور والجميلة يتشاجران.
يتفاهمان بالأيدي والأقدام . يتهاويان في النهر . المبهم المبهم
المبهم . دعوني أغني :

"زوجتي سألتني مكذبة الخبر الذي هز حتى
ستائرنا البرتقالية . هل حقاً حدث ؟ لم أجب
وأسرعت بالهرب . ضربني الطوفان

الشرس . هرعت إلى السفينة أنضم إلى
الفارين . جعلت أرقب معهم ظهور شجرة
الجودى . دخلت لا مفر أمام الزمن الملتكى
في قوقعة الغفلة والمبهم. صاح بي في ركن
من القوقعة شبح "هيهات أن يعود . هيهات .
في قاع جب تحرسه قوى غير منظورة.
استقر. هيهات أن يعود" .

ذات مساء قال لي من بين ملابسه العسكرية
"مجد العالم ليس في مركز الضوء . أنت لا
تعرف معنى أن يحتويك ليل ومقبرة لا تكف
عن دعوتك. تصارع في زحمة الليل وإبلاً
جهنمياً يصل إلى كل حي . ويكون علينا
رغم ذلك تمزيق الوقت بالأغاني. آه .
هيهات أن يعود . فدعوني أغني".

افتح عينيك :

عاد الشجار . صعدا من الماء . الأعور ما زال يطارد
الجميلة . تصيح به نافرة :

- ابعد عني . لا أريدك بعد اليوم . لا أريد أن أراك
- محال : محال .
- أفضل لك أن تبتعد عن طريقي .
- مستحيل أن أتركك . أنت لى . أنت ملكى . أنت قدرى وأنا قدرك .
- لا تحاول . لا تحاول .
- لابد .

أكرمه . والعرق الممزوج بماء النهر يعلوها يثير في القلب كوامن الغضب ، وأنظر فأرى شطري العاصمة يستعدان لاستقبال الليل .

أقفز في لمحة فأقف بين الاثنين . هدأت الجميلة وابتمت . توعدني الأعور وأنذر بعقاب مؤكد . صاح بي :
"لا شأن لك . لا شأن لك . أتركنا . ابعد أفضل لك"

يتضاعف غضبي . ولكني أسأل : هل أغامر ؟! . أنا يقظ الآن ولا أحتاج إلى ما ينبهني ولا إلى ما ينسيني . لقد كنت أقبض على هواء لم يستسلم أبداً لأصابعي ، بينما فرح الفارون

في السفينة بالمجد المقبل . ويقول صوت من خلف الليل
الزاحف : "وأقيمه في بيتي وملكوتي إلى الأبد". وأنت من جهة
الصوت البشارة . عادت الحمامة بورقة من شجر الجودي .
نجحت . الأرض . الأرض . الأرض . ويقول الصوت الآتي
من خلف الليل "ويكون كرسيه ثابتاً إلى الأبد" . ويصيح خلق
السفينة فرحين بالبشارة : "الأرض . الأرض . الأرض" .
وأجديني أصبح معهم قائلاً: النهاية وليدة البداية . فدعوني أغني
معكم . دعوني أغني . وأقول لنفسي وأنا استعد للمواجهة.

- لابد من وقف الأعور المنذر .

وأكور قبضتي وأنا أغني : الأرض . الأرض .
الأرض . ثم أتقدم أكثر وأكثر نحو الخطر المنذر المهدد بلا
مبالاة..

نوفمبر ١٩٦٩

المفرد

obeikandi.com



obeikandi.com

المفقود

(١)

.. الخطوات المجهولة بالخارج مرة أخرى وأنا أتابع
زوجتي تنهياً للخروج إلى حفل الجمعية الخيري . أنصت إلى .
وقع الأقدام : بطيئة مترددة . مقبلة مدبرة على أسفلت الشارع
السفلى وفوق الدرجات الثلاثين . أهرب إلى حائط أصم تتشبث
به رأس زنجي تعلو صورة لرسام عالمي لا أهتم بتذكر
اسمه..

ها هي أخيراً - في المرأة - تتعطر وتبتسم . تبتسم في
صمت يزيد من قهري . لا حديث بيننا ولا همس ولا حتى

شجار . تطالعني فقط بابتسامة باهتة مرسومة ومقصودة قاصدة
تعويضي عن رؤية المعنى الحقيقي في عينيها الصافيتين ..

وعارضتني لوحة الحائط بالباح وهي تسعى نحو الفراش
بتردد كتردد خطوات الشارع السفلي والدرجات الثلاثين .
تجتنبني اللوحة الفنية والعطر يسبقها إليّ .. تتكئ الآن على حافة
السريـر كي تطبع على خدي قبلة الخروج ..

فكرت أن أحول وجهي - هكذا أفعل كل مرة - لكن لم
أفعل . لا كلام . شيء ما يتصدع . ينهار . ضربات قلبي
سريعة ونشطة . وأحبها فأسلم خدي لشفتيها الرقيقتين دون أن
تتلاقى عيوننا ولو خطفاً ..

ابتسمت وهي تتباعد . الظهر . عيناها تتجولان على
فستانها الأسود المحبوك . لو أرافقها هذا المساء ! . أود أن
أكون هناك . وقبل أن تصل إلى الباب وقفت والتفتت إلى غير
عيون . قالت :

- لا تنس موعد الدواء . الثامنة والنصف .

فقلت بسرعة :

- لن أنسى موعد الدواء . الثامنة والنصف .

فأضافت وكأنها لم تسمعني :

- وعموماً لن أتأخر .

مضت بجسد ملفوف شاب . لا أراها . احتجبت .
رائحة ما تسبح في الحجرة غير عطرها المتميز . لو أراقبها .
أحب أن أكون هناك . أنيقة ومثيرة لا تماثلها واحدة من
النساء . وأبتسم وأنا ألمح على "الكومودينو" مسركية لبيكيت .
انتهيت من قراءتها منذ أيام ..

(٢)

شدت باب الشقة بغير عنف . خرجت .. أصوات
القنمين . تهبط .. صوت محرك السيارة .. قائدة ماهرة
ماهرة .. السيارة تبتعد . تقلص الآن عطرها الصارخ والليل لم
يقبل بعد . ما زال الجو الرمادي يكسو - في الخارج - حوائط
العمارات المقابلة . لا أستريح لتسلله إلى الحجرة ، فأمد يدي
إلى الأباحورة في هروب . أسكن بالضوء الذي بدد الظلال ..
بدد الرماد ..

أغض عيني للحظة لأفتحهما على ساقي الممدتين بلا
حراك .. أنضايق فأقفل النور ، عاد الرماد إلى الحجرة ، فتداح

في صدري آهة مهتاجة راحت بجسارة تتمد بأذني تجاوبها
أصوات رسمية حادة :

- العلاج . العلاج المنظم كفيل بتغيير الأمر وتحقيق الأمان .
الأمل مهم . والانتظار واجب .

توجيهات قالولها وولوا . فماذا بعدئذ ؟ أليس لكل شيء
نهاية؟ أليس لكل شيء نهاية يا سيدي الطبيب ؟ لكن الطب قال
كلمته وسكت . فتساءلت :

- أين الأمل الموعود ؟ أين ؟ ! .

فلم يجبني أحد إلا بكلمات . وهذه زوجتي الشابة
الجميلة عضو "جمعية الأمل الصحي" لا تتحمس كثيراً للبقاء
إلى جوارى بعد أن أراقت كل دموع العينين لما قالوا:

- الأمل في الشفاء ضعيف جداً ، ونحن بانتظار معجزة .
فصحت بياس :

- انشطرت .. انشطرت وانتهى الأمر :

وها أنا الآن أغمض عيني وأرى تفاصيل الحادث
المفاجئ الذي لم أتوقعه ، ولم يتوقعه أحد من المراقبين أثناء
السباحة :

"كانت زوارق الإنقاذ على مقربة منا نحن المتسابقين . كان الموج هادئاً .. وكنت أحتل المركز الأول قبيل حدوث اللحظة الحرجة ؛ لقد أحكم الفرع سطوته وأنا وسط الموج الحافل . هاجمني الألم دون استئذان بأسفل الظهر متصاعداً إلى مؤخرة العنق . "آه . النجدة" . وكانت زوجتي في زورق قريب تلوح لي وتمطرني بقبلات عبر الهواء . "آه آه . النجدة النجدة . الألم الألم . النجدة النجدة". وحلّ بعيني ظلام مخيف وأنا محاط بدوامة من نظرات المعاطف البيضاء : لقد انتهى كل شيء تقريباً عندما نفضوا أيديهم جميعاً ورسوموا على الشفاة إجابة واحدة محددة : لقد أصيب السباح الماهر . شل . انشطرت شطرين . آه. وصحت بالوجوه المتحلقة المحدقة : هل من أمل؟ وكانت الحجرة مكتظة بالرجال .. تنقلت عيناى عليهم واحداً واحداً .. فتضاعف همى وودت

لو تختفي زوجتي الجميلة فلا تظهر أمام
رجل . أي رجل" ..

(٣)

.. الظلام .. خيالات الطوابق العليا بعمارتنها على
واجهة العمارة المقابلة . أرى الخيالات بوضوح . ضحكات
خفيفة وناعمة تضجرنى . رأس لامرأة وأخرى لرجل
تتقاربان، ثم تبتعدان ، ثم تتقاربان ، ثم ..

آه .. الأباجرة هي الأمل . النور . "في انتظار جودو"
سحبت المسرحية . قلبت صفحات قرأتها من قبل . أمد يدي
إلى الأباجرة: الظلام ثانيًا . هذا أفضل . فأتبع خيالي
الرأسين أمامي على الجدار . الرجل في الطابق الأعلى فوقى
مباشرة مجنون بامزأته وهي نافرة .. امرأة المجنون شكت
لزوجتي إصراره على الغزل الصريح حتى في النوافذ .
زوجتي حكّت لي . اختنق . يغريني النوم .. أتشأب :

"تمددتُ معي وسط هلال مئذنة تطل على
شاطئ نهر . وكانوا تحت يتحركون بأشكال
متفاوتة متضادة .. وبينما كان الماء رماديًا

يغازل بصري.. نهضت زوجتي تعدل من
ملابسها، وطلبت أن أصرحبها إلى حفل
الجمعية الخيري .. كان وقتها ظهري
يؤلمني. لما شكوت لها عجزني فجأة عن
الحركة، أصرت؛ لأنني لست عاجزًا . هل
شفيت ؟ . ياه. أخيرًا المعجزة. أنا أنزل من
وسط الهلال الفضّي . أنا هبطت بسلام . أنا
مشيت دون مساعدة . دون أن أتأبط ذراعي
امرأتي العاريتين . فستانها أزرق مكشوف
الصدر . وكان أولاد يصفعون الماء بأقدامهم
الصغيرة . وجدنتي أخطو بلا صعوبة .
أخطو بين الدولاب والمرآة وباب الغرفة
وباب الشقة . وجدنتي أهبط الدرجات
الثلاثين . هبطتُ جميع الدرجات. ياه .
وهتفت في الشارع وأنا أقود السيارة بجنون:
لا أصدق أنني نجوت. وكانت زوجتي
سعيدة. وهتفتُ : لن تكوني وحدك بعد الآن
يا عزيزتي الجميلة. أملك كل شيء . سوف

أصبح مرة أخرى . لن تذهبي إلى مكان
وحدك يا عزيزتي . وبدأت "جمعية الأمل
الصحي" فوق جبل كحصن أسطوري. نزلنا
من السيارة .. وجاءت في نفس اللحظة
سيارة حمراء كبيرة نزل منها رجل أنيق
وطويل . حيا زوجتي وحدها وسبقنا ، ورغم
دهشتي لتعدد المشاهد . فكرتُ في الرجل
بحزن : تحيته لزوجتي صفة حادة هوت
على أنفي اليسرى، وفكرت في الابتسامة
التي بدت على شفتي زوجتي، وفكرت في
الرجوع . لكن تلقفتي رئيسة الجمعية المسنة
المتصايبية. رحبت بي وأغرقتني في أحاديث
متشعبة.. وفجأة اكتشفت اختفاء زوجتي
الجميلة ولم أر الرجل الطويل الأنيق . عندئذ
عبثت بي يد خفية وتَرت أنفاسي . ورأيت
فم المرأة المتصايبية يطحنني بأسنانه
الصناعية . ومع ذلك وجدتني أتقدم من باب
موصد . فتَحته . آه .. سقطت ودرت في

دوامة من نظرات أصحاب المعاطف
البيضاء ، بينما التفت زوارق الإنقاذ حولي
راسمة في الماء حلقات متعرجة" ..

(٤)

.. آه جرس الباب . هل نمت ؟ من يكون الزائر
الليلي؟ يستخدم أيضًا يديه . من يكون ؟ . الأقدام المجهولة؟! ،
وفتحت النور . التاسعة . تأخرت نصف ساعة . مواعدها
الثامنة والنصف . لم تأخرت ؟! ..

أتتبع صورة الحائط كأني أراها للمرة الأولى : الخطوط
ونسب الألوان : تبدو حشرة غريبة تدنو من رقبة إنسان لا
يكلف نفسه مشقة الدفاع . فأسأل عن الصورة . أين ومتى كان
الاختيار ؟ . أراها هكذا للمرة الأولى وكفى..

أعود إلى التفكير في أصحاب الخطوات الرتيبة غير
المرئية . من يكون ؟ من يكونون ؟ . فاشتعل في رأسي حلم
الجمعية الحاد . استسلمت للحلم الرهيب لوقت طويل.. ثم
نظرت في الساعة : تأخرت زوجتي ! . باهرة زوجتي .
لكنني رأيتهم ينظرون في صدر فستانها الأزرق المحبوك :

ينظرون بحرية . تأخرتُ . آه . لو يتعطل تفكيرى إلى الأبد .
لو أنام . لو أموت . أعشق نهاية أشرف على تفاصيلها؛ لأنى
أرفض المصير المفاجئ . فاجأني الألم الحاد المعجز وسط
الموج وأنا فى كامل لياقتى البدنية . تأخرت . وأنا دائم
التقرب . ويجب على "جودو" أن يكف عن ممارسة لعبة
الانتظار المميت . السبت موعده . بل الأحد . بل الاثنين . أيام
الأسبوع السبعة . آه . فى أى يوم يأتى "جودو" ؟ ، وفى أى
يوم أتى؟ . آه . المعجزة وحدها . أريدها . المعجزة التى تدرأ
عنى هذا العذاب ، أو أتخلى فأصنع بيدي النهاية التى يتوقعون
أن تحدث ..

أظلم الحجرة . لأن غشاوة ماء حجبت الرؤية . أغمض
عينى.. موجة وموجة وموجة من الصغير تلطم أذننى وأنا
مغمض العينين..

المفتاح يدور فى الباب . أنصت إلى الصوت .. هل
عادت ؟ . نعم . العطر المميز يسبقها إلى . بلا ثياب دخلت
وتمشّت بالحجرة . اقتربت من الفراش ثم استلقت صامتة إلى
جوارى يتحدثانى جسدها الأسمر . لم أتحرك . استمع بتركيز

إلى حفيف نفسها : تتنفس بعمق ورتابة، ضمت ساقها . لا
حركة : نامت ..

حولت إليها رأسي : كان الوجه بريئاً وأملس . كان
مكسواً بارتياح لم ألاحظه منذ حادث السباق . نبع العرق من
كل جسمي . غسلني . وكانت بطني منتفخة تدفعني بقسوة إلى
الحمام .. هممت بطلب المعونة . لكن عدلت لما طالعني زنجي
الحائط بابتسامة فهمتها بدت على شفتيه الغليظتين . دعوة إلى
المحاورة ! وأسقط الزنجي عينيه على اللوحة العالمية : كانت
الحشرة ما تزال تدنو بتصميم من الرقبة الغافلة . فنهضت إليه
وخنقته وصحت فيه : يا زنجي إما أن تتطرق أو تسكت .
ضجبت الحجرة بصيحتي . توقعت أن النائمة ستهب فزعة لكن
فتحت عينيها وقالت بتراخ وتكسر .

- نم يا .. حبيبي .

فصرخت رافضاً :

- لا .

تسللت أصابعي إليها .. تحسستها . ضللت أصابعي في
تضاريس جسدها الممتلئ بغير رغبة . فاحت منها بقايا عطر

مجهول اختلط بعطرها المميز . أنفي مجرب، وأصابعي خبيرة
تؤكد وجود بصمات غريبة فوق تفاصيل الجسد . وقالت بترأخ
وتكسر :

- مالك يا حبيبي . لم لا تنام ؟

جذبت رقبتها إليّ بعنف . حكّت عيونها نفورا معذبا .
حدثتني نفسي بأن أبصق . ثم صرخت فيها :

- أردت قتلي الليلة .

فتساءلت مستكبرة متعجبة :

- أنا ؟! .

- اختفيت مع الرجل الطويل الأنيق .

- أنا .. ؟!

- ورأيتك في أحضانه ..

- مجنون مجنون ..

- ولابد من كسر رقبتك .

وضغطت عنقها وهي مستسلمة . ورطن الزنجي
بعبارات غير مفهومة تحثني على ارتكاب الجريمة ، لكن
وجدت زوجتي تتخلى عن الاستسلام . جعلت تقاومني بقوة
ومهارة .. ثم انتبهت فجأة بصوت "قرملة" السيارة .. جاءت
زوجتي أخيراً ، فلم أتمكن من الإجهاز عليها ..

(٥)

سكت صوت محرك سيارة وقفت . يد فتحت الباب
وأغلقتة . يد ناعمة . زوجتي . هل عادت أخيراً ؟ أقدام كثيرة
تقطع المسافة إلى باب العمارة . يصعدون السلم ويصعدون كل
يوم ألف مرة ومرة . هل عادت زوجتي ؟ وأنظر في الساعة :
الحادية عشرة والرابع . أسمع . أسمع فأحسب الزمن الذي
تستغرقه زوجتي من موقف السيارة بجوار باب العمارة حتى
باب الشقة حتى الفراش . أسمع . همس وضحك وكلام غير
مبين يواكب الأقدام المقبلة الصاعدة . أسمع ..

مضت دقيقتان . ثلاث . أربع . خمس . ست . سبع ..
لم يفتح باب الشقة بعد .. لماذا ؟ السلم موطن الحركات غير
المنظورة . من يشهد ؟! من يدين ؟! عشر دقائق . لماذا ؟ .

يوم . شهر . عام . دهر طويل . بطني منتفخة تستصرخني .
آه . الفراش يتبلل بإرادتي . يا زنجي : انطق أو اسكت . ولا
ترحمني أسنان العجوز الصناعية بكلام في سمعي لا أفهمه .
لقد كانت في الحفل الخيري ترفع حاجبيها كثيرًا كقوادة
محترفة.. لم لا تدخل زوجتي الآن حتى أستريح ؟ .

ودار المفتاح في الباب . أنصت لنقر الحذاء المدبب .
الكعب عال ، والفستان ضيق محشورة فيه حشرًا ، وها هو
النور يملأ الصالة .. النقر المدبب يقبل ناحيتي . يدق بقسوة
رأسي ؛ الخطوات المجهولة ما زالت تغزو وحدتي وعجزي .
غمر النور الحجرة . زوجتي عادت متهلة . ضاحكة .
لم تكن هكذا منذ ساعات . تحييني وهي تدندن بلحن غريب لم
أسمعه من قبل . تقطعه . تعنذر . تتحدث وتتحدث عن برنامج
الليلة الحافل .. ساقاي ساقاي . هل أفقد الأمل إلى الأبد ؟ ! ..

الأسنان تنطبق وتنفرج وتنطبق . يتجمع البصاق كله
الآن على طرف لساني . كنت أمتلك القوة والإرادة . وها هم
الآن جميعًا يتحركون . كنت السباح الماهر العنيد . الآن أنتظر
"المفقود" حتى يأتي . قال : السبت . بل الأحد. بل الاثنين ..

بل . بل . وفي الصباح . في الظهر . في العصر . في
المساء . في الليل . وقال اليوم . بل غداً . بل بعد غد .. وقال :
لقد جاء . حدث ذلك بالأمس دون أن تراه . وأنا أقول : لم يعد
يجدي الكلام . لم يعد يجدي سوى رصد أشباح الظلام ،
ومحرك السيارة وتلك الأصوات المجهولة ، والأقدام
الغامضة ..

يناير ١٩٧٠

obeikandi.com

الصيام الأخير..

obeikandi.com



obeikandi.com

الصباح الأخير..

(١)

.. الفجر يغزونا معاً .. من الراديو تتبعث موسيقى
إذاعة مجهولة .. أغطي بدفنها الأمومي . زوجتي . تقول
بعينها الحزینتین : یشتد خوفي كلما ازدادت حركة الجنين .
فأجذبها بحذر إلى أكثر . فتبكي . لكني لا أنطق . أخرس .
وأذناي قد أصيبتا بالصمم ..

يعلو قليلاً صوت بكائها فأهمّ بالكلام . لكن ثمة من
يأمر بالسكوت . فأسكت . لا وقت للكلام : العقر بان داخل
الحصار الذهبي لا يرحمان . المنبه الفسفوري . الوقت يسرع .

وسوف يتدلى الجسد الحي فجأة عارياً في الظلام وفي الشمس
والمطر في اهتزازة دائرية سريعة تطوق العنق ..

- كلمني .

-

- كلمني . ماذا تحب من الأسماء ؟

أنظر في بروز البطن . أشعر بالحركة . أغمض
عيني: ما الحب ؟ . أنا أحب . أنا لا أكره .. "سيداتي أنساتي
سادتي" . أنا مزيغ سابق . البرنامج الثاني من القاهرة . "إليك
رائعة هوميروس . لنشهد الصراع الحافل في قصة اليوم" .
كان هذا آخر برنامج أقدمه . سلمت نفسي لمنطقة التجنيد
بورقة وصلتي . حاسمة لا تقبل التردد، فتسلمت ملابس
صفراء بلون الرمال .

- كلمني . أنت لا تجيب .. اختر له اسماً .

تتخلى أصابعي عن شعرها الأسود الغزير : المنبه نو
السوار الذهبي يذق بعنف، أرى "أندرو ماك" تحمل الطفل
وتودع زوجها "هيكتر" الموشك على مبارزة "أخيل" بطل
الإغريق أمام أسوار طروادة . قلبي يذق مع دقائق المنبه .

أدير مفتاح الراديو إلى أعلى لترتفع الضجة ويزداد الصخب .
أحن إلى النوم . لم أنم منذ ولادتي . أنا تعب للغاية ..

تسلل صوته منخفضاً من تحت ناقوس منكفي .

- مبسوط ؟

-

- أنا أعد الأيام يوماً يوماً . أستعجل عودتك كلما رحلت .

أنظر في عينيها الدامعتين بدون كلام . المنبه فسفوري .
العقرب الصغير على الرقم الابع . الكبير على الثاني عشر .
الرابعة الآن . بعد ساعة يطلع الصبح الأول، وعليك أن تستعد
للرحيل . المسافات طويلة . ويجب أن تكون هناك في الموعد
المحدد .

- أنت لا تتكلم . أنا خائفة ..

أنا مخنوق . تخنقني الدموع . ثمّة من يأمر بالنهوض .
"انهض" فأنهض . "هيكتر" نهض . "ارتد ملابسك" . تسربل
بدروعك . هيكتر فعل . ثم أرحل نحو الخطر المتحفز تحت
أسوار طروادة . أنا أطيع ؛ هكذا فعل هيكتر العظيم، لمبارزة
"أخيل" بطل الإغريق الشجاع ..

- أنا ماشي .

- تعال .

قالت بضراعة، فأعود لتملئ بها ذراعاي . أضمها
مستجيباً لدعوتها وضراعتها .. طروادة . طروادة . أهل
طروادة جميعاً يعقدون آمالهم على بطلهم الشجاع هيكتور .
تقول بهمس :

- سترحل .

أقول وأنا أنصت لصوت قذيفة غادرة عمياء أو مبصرة
في سمعي .

- في قطار السادسة .. كالعادة .

- ياه ..

- سكت . قطعت لساني

-

- لم أشاهد معك ضوء النهار منذ وقت طويل .

دقات المنبه عنيفة خطيرة كطبول حروب الزنج ..
ولساني مقطوع فلا أرد . أقوم . أرتدي بدلتي الصفراء
العسكرية الرملية. ارتدى هيكتور دروعه . خفاش الظلام يتقدم

بغير عيون . أهمس في أذنيها بلا همس . حتى الهمس لا يخرج . تتوسط وحدها الفراش بنظرات زائغة . لكنني أتمكن من الهمس .

- أنا راجع .

همسي أسمع وقعه . يطن في أنفي مثل قذيفة مندفعة غادرة، ثم عدت أقطع لساني مرة أخرى ..

أتقهقر . تقفز إلى ذراعي . يروز اليطن بيننا . الوليد القادم المنتظر . ألمسه : أنا أبوه . هي أمه . تسقط الأذرع جميعاً في يأس . أبتعد . أخرج ضريراً، أخرس، أصما لتضمني - في الشارع الصامت - تباشير الصباح الأول ..

(٢)

.. لا تنتظر إلى الخلف . لا تقف . أسمع .. مشاهد الوداع لا تستهويني . خطواتي ثقيلة . حذائي العسكري ثقيل . أفكر في موسيقى الإذاعة المجهولة بينما كانت تبكي بين ذراعي . أفكر في البرنامج الأخير وفي الورقة الصغيرة التي جعلتني بحسب ارتدي الملابس الصفراء الرملية . "قف والتفت" . لا . أحسن . أنت عظيم وبطل ..

في شرفة الطابق الرابع وقفت "أندروماك" . أعرف
أعرف .. والبرودة قارسة . أعرف أعرف . تلوح "أندروماك"
للبطل المخلص . أعرف أعرف والبرودة قارسة . قلبي ليس
حجرًا ولكنني لا أحب مشاهد الوداع ..

الأوتوبيس المفصلي الطويل يحملني الآن إلى رمسيس،
يهرع إلى ميدان فرعون .. وصل . المحطة ذات الطراز
الإسلامي الأزرق تبدو رائعة في الصباح الأول . هل أنسى ؟
صفارة الكومساري . صفّر بحسم . ففرمل السائق الجالس
وسط الزنزانة الزجاجية. هل أنسى ..؟

يتخفف الأوتوبيس من الحمولة الثقيلة . يندفع الركاب
المسافرون تجاه باب المحطة : "اندفع الغزاة إلى أسوار المدينة
المناضلة" .. هل أنسى ؟. تمثال رمسيس عملاق عظيم يذكر
بمجد حافل سابق . هل تحدث المعجزة ويتحرك التمثال العظيم
ليدراً عن المدينة جحافل الخطر ..

(٣)

.. يتجاوزونني دون حماس رغم أنهم يثبون بفرع إلى
ساحة المحطة . "الغزاة المندفعون يقتربون من أسوار المدينة

المناضلة" . صوتي عليل . أقدامهم ثقيلة لكنهم أسرع مني . مسافرون إلى مواقعهم مثلي . يعبرون الباب المفضض بخطوات واحدة، وبملابس رملية واحدة، وبرائحة مميزة واحدة. يعبرون بسرعة ليستقلوا القطار الأول المسافر نحو الشرق إلى مواقع جبهة القناة . لكنني أبتاطأ .. أفكر في العودة. فما زالت "أندروماك" في الشرفة تحمل الجنين مودعة ومنتظرة ..

صفارة قطار السادسة تعلن عن قرب التحرك . لا . لن أركب . فتبرد أطرافي وتسخن . قطار السادسة لا . بل نعم . بل لا . محلي أسير . أتلأ عن عمد . صورة "أندروماك" بعيني . "البرنامج الثاني من القاهرة" . أندروماك لا تمل الانتظار . زوجتي لا تمل . الطفل قادم قادم . لكن رحل أبوه ولم يعد . أنت يا ولدي بلا أب . داسته تحت الأسوار سنابك الجياد الوحشية . إعلان أسود عن بطل الأبطال الذي أنهى مراسم الوداع لمنازلة "أخيل" على أبواب طروادة ..

أفكر في الدنو من الرصيف الخامس : "بريام" الحزين .
يجلس فوق الرصيف الخامس . في عينيه فزع السنوات التسع .

يجب أن تنتهي الحرب لكن بانتصار المدينة المناضلة . يجب أن تراق من أجل النصر دماء الأبطال على عتبات المدينة المقدسة ، وأن يموت الأحبة حتى "هيكثور" العظيم . فزع "سكمنديوس" ابنه من خوذة الحرب وأمه تدفعه إليه . ضحك الأبوان في مرارة ...

الصفير الثاني . الباقي دقيقة . يجري خلف العربة الأخيرة الأسرع المتحمس . "أخيل" يتوعد وينذر . "اللعة على باريس" ، اللعة على "هيلين" : سببا الحرب المدمرة.. ونقول أندروماك : "إن آلفا من الهواجس السوداء تضغط على قلبي، تحدته بالعقبى الوخيمة" . لا وقت للخيار . يخرج "هيكثور" إلى "أخيل" مخلفاً وراءه كآبة المدينة . قلق المدينة . وتصيح "أندروماك" : "هيكثور ارجع لي . أنا لا أستغني عنك بأب أو أم أو أخ أو بمملكة يزين مفرقي تاجها المشرق" ..

آه . لا وقت للتنفس . حول الرقبة عجلات القطار المسافرين . و"التحم البطلان في ضراوة" . تمنع القضبان المتوازية من وقوع الحادث المروع . أسرع واركب . لا . كن صريحاً . لا . "هيكثور" مات لتغرز في حلقي مرارة بريام .

أنا وامرأتي الجميلة صنعنا طفلاً لن يراني. لكنني عائد عائد .
"سيداتي آنساتي سادتي لنتابع المشاهد التالية" . هل تسمعون؟..

القطار يتحرك الآن ببطء وثققل . يزيد من الحركة
والسرعة . أين العداء الأخير ليعدو خلفه ؟ . لا أحد . لا أتقدم.
أترجع . أستدير . أدق البلاط الأملس . الدرجات الأربع .
أنزل . أنصت لوقع أقدامي . أنصت لموسيقى الفجر المجهولة.
أعبر السور المفضض إلى الميدان . هل يعرفون ؟ . الغضب
الحاد في ملامح الوجوه العابرة بي . يأتي أصحابها للسفر .
القطار التالي : السابعة. لكن لن أسافر . لكن "الهارب" وصف
صارخ يطارذك أينما حللت. أه . لقد تخلفت بإرادتي عن قطار
السادسة .. أكان هيكتور عالماً بالمصير ؟ :

"حلت علينا لحظة صمت أنستنا صباح رفيقنا
المنهار. وكان صباح هادئ خلت سماؤه من
الطائرات المغيرة ، وكانت الشمس دافئة .
قلنا : لنبدأ يوماً آخر جديداً . لكن ما لبث أن
وترنا هياج صديقنا المنهار . عاد إلى
صياحه مرة أخرى : اسمعوا .. اسمعوني .

إلى متى نقف هكذا مكتوفي الأيدي؟ إلى متى؟ سأغزو وحدي هذا المجهول. ثم سكت فجأة ونظر فرعًا إلى الأفق الشرقي. نظرنا نحو الأفق الشرقي معه . عبرنا القناة بعيوننا. وكنا قد اعتدنا توقع الخطر من خلف السائر العملاق . ظهرت الطائرات المعادية. انشقت السماء وغطست طائرة ضربت الموقع .. أسكتت رفيقنا وآخرين.. ثم جمع بعضنا الأجزاء والأشلاء . جعلوني أنظر، فتقيأت دما .. ثم لم أعد أرى شيئاً غير الظلام والصمت ولون الموت. ثم أفقت وتكلمت ونمت . ثم صحوت لحظة ومت . أستمع في موتي لصراع آلهة الإلياذة على شاطئ بحر طروادة الزاخر بسفن الإغريق الغازية . ومت في موتي وأنا أسأل عن رفيقنا الذي أراد أن يغزو وحده هذا المجهول المخيف" .

(٤)

.. الشلالات السبع تتساقط في المربع البرتقالي تحت
قدمي التمثال العظيم . تغريني البحيرة بالهبوط حتى القاع
الأملس . "اخلع ملابسك واحصل على النهاية الجميلة" . فأسأل
هذا الذي لا يكف عن إصدار الأوامر "هل الموت يحدث
حقاً؟" ..

أُتسلق القاعدة والقدمين والساق والصدر حتى الرأس .
أجلس فوق التاج الفرعوني أراقب الحركة من تحتي يغلفها
ضوء الصباح المائل إلى الزرقة . مريح . لكن لم ترحني
نظرات الجنود في القطار الراحل . كانوا يعلمون . أنا مذنب
مذنب مذنب . هارب . كانوا يعلمون . اتشح الأمان بسواد لا
مفر منه . كانوا يعلمون أنني مجرد هارب خائف من خطر
الغزاة المتربصين .. آه . لن أقبل هذه الصفة التي ستصممني
إلى الأبد . لكنني سئمت الدور الرتيب . وأكره الأمر "مهلك
سر" ..

قطار السادسة ولّى لكن قطار السابعة يوشك أن
يحفرني بقسوة مماثلة . لا . لن أسافر . أنا هنا . هنا . باق .

لن أسافر . "البرنامج الثاني من القاهرة" . اسمع : هل ما زالت الجماهير تذكر الصوت الذي غاب ؟ ، فانزل وكفى ثرثرة . حاضر . لكنني أريد النوم أو الموت.

أنا تعبت . أنظر من فوق إلى القادمين يقصدون السفر. الجنود بخطواتهم الثقيلة وبملابسهم الرملية . هاهم يسرعون نحو الباب إلى قطار الساعة الذي ينتظر . لكنني أرى "أندروماك" جالسة فوق أسوار المحطة الحديدية المفضضة . أنا قادم . وهذا "أخيل" يمثل بجثة هيكتور. البطل الصريع. أبخرة غضب المسافرين تتصاعد إليّ . تصل قمة التاج الفرعوني . البطل الشجاع مات . يحلّه الآن "أخيل" ، بينما تجلس أنت فوق الميدان . لكنني أفكر في العودة إلى "أندروماك" . يسبقني إليها النهار . نهار النهار . وأقول بصوت مفعم بالفزع لا يسمعه أحد :

- هيا نشاهد سويًا النهار . بياض النهار . شمس النهار وظهره وعصره وغروبه .

ويرد عليّ صوتي :

- لا . البطل الشجاع مات ، بينما تجلس تثرثر فوق الميدان .

ويواصل الصوت أمراً:

- انزل : بريام المسكين حزين يقطع وحده المسافة إلى معسكر
الغزاة بعيداً عن الأسوار ليعود بجثمان البطل..

أندرج . أتهاوى لترتطم رأسي بالقاعدة الصلبة .
تسيل عيناى وهي تواجه الساعة المرشوقة في ضلع الواجهة
الزرقاء . يقترب الزمن من السابعة . آه . ومرت بي الملامح
الواحدة والخطوات الواحدة والرائحة الواحدة . يجري الجنود .
يدوسون الأرض .. أنهض وأجري خلف الأقدام الواحدة .
الدرجات الأربع . المدخل . رصيف "بريام الحزين" . أقف .
أستند إلى ضلع "الاستعلامات" البارد ..

عيناى على القطار المتأهب أحاول الخلاص من السنة
بابل الغامضة . لا أفهم من البرج الآن غير الصياح الذي
سكت. ولا أرى سوى الأجزاء والأشلاء التي كانت ذات يوم
لرفيقنا الذي ضج وتمرد وأصابته مباشرة الطائرة الغاطسة ..

القطار يبدأ في السير البطيء . أنا لا أرى . "إليك
سيداتي أنساتي سادتي هذا المشهد الأخير" . وهكذا ذهب
"بريام" الحزين إلى "أخيل" الشجاع فرقاً لشيخوخته ، وأسمع

أندروماك : إن آلاًفاً من الهواجس السوداء تضغط قلبي وتحدثه
بالعقبى الوحيدة . القطار يتحرك أكثر . يزيد من سرعته . أنا
أرى . أندروماك .. أندروماك . أتشبث أكثر بالحائط البارد .
أسمع : ولد . بنت . ولد . سوف يحل الطفل الذي لم أختار له
إلى الآن اسماً بعد شهر ثلاثه . القطار يسرع أكثر . لقد اتسعت
عيننا زوجتي وسط الفراش وأنا خارج وحدي إلى الجو
الرمادي صباح اليوم . وما هي المسافة الآن تتسع بين بداية
الرصيف وآخر عربة . لكنني أتخلص فجأة من الضلع البارد
وأقفز .. وأعدو لاهتاً لأمسك بمقبض العربة الأخيرة .

مارس ١٩٧٠

الجرم

obeikandi.com



obeikandi.com

الجرم

(١)

.. هذه المرة لا تفزع . عيونهم عليك ولا تراك . بريق
النجوم والنسور معجزة تهرأت بسنابك القهر . قبل سطوع
اللحظة الحرجة بالومض المخيف احتوتك راحة رائعة . غنيت
ألمًا . أفهمتك اللحظة المضيئة أن النيزك الشارد نتيجة تغير
لفراغ لا يؤمن بنهاية للمدى ..

الآن هم الثلاثة في بؤرة الكلمة ليسودوا أحشائك هدفًا
سهلاً للرماة . بالكلمة يتكلمون . بالموت . بالموت يعرف
المراقبون خارج "الملجأ العسكري" أن الخطأ مرفوض

مرفوض ، وأن علينا لو كررنا المحاولة أن نطلى بالسواد
مقاتلنا بأيدينا . "الذي يهوى إلى الهاوية السحيقة لا يصعد" ..
اتطلع إلى سقف "الملجأ المحكمة" . يسأل قائد الوحدة الجالس
فى الوسط :

- لماذا هربت؟

انظر ناحيته ولا أجيب .. كأنى لم أسمع .. فقال
بصوت غاضب بينما شردت بعيداً عن "الملجأ" فمشيت فى
شوارع العاصمة ، وفى الشارع الذى يضم مسكنى خلا منه
زوجتى وابنتى . انتبه على صوته المحمل بالغضب ..

- تكلم . أنت لا تجيب على سؤالى ..

القائد رافض لصمتك المثير . أنت تكفى بالنظر إليه
يتوسط ضابطين . يرمقونك بعيون الدهشة والعجب . الأوسط
ذو النسرين والنجمتين . هو القائد . الاثنان على يمينه ويساره
بأربعة نسور وأربع نجومات . القائد يعود إلى الصياح :

- أنت مصمم على السكوت . أنت أنت ..

أنا لا أسمع . لأنى أحشو بالقطن أذنى . ولأن عيونكم
عيون صقور جارحة فالكلام هراء وخداع . ولا فائدة منه .

والشرود هو الرد المناسب، ولا يهم أن تصدروا أي حكم عليّ.
فأنا معترف بالجناية .

- شارد يا

بكل الغضب يرمي بقذائف . بركان فيزوف يتفجر
بالحمم ويثير الذعر، فهبط من تحت قدمي جزء من الأرض .
اضطرب . لكنني لم أنطق ..

-

- اقرأ عليه الجناية .

أمر القائد ذو النسرين والنجمتين الرجل الواقف خلفي
كالجلاد . "مساعد أول" الوحدة . فادى التحية للمرة الألف .
كدم الأرض بكعبه الأيسر . أعرف . تكلم . انفتح "المسجل" .
صوته كربه . خوار بقرى يتلو الواقعة . يعلمني بالتهمة .
رذاذه يتطاير . يلتصق بقفاي ..

أتضايق . أهرب . أعرف قبل أن يقول . أسعى
بنظراتي إلى سقف "الملجأ" العسكري الذي يضمنا .. في
الأرض السابعة . مقبرة تقي الأحياء من ضربات الموت

المفاجئة . نحن نبعد عن سطح الأرض مئات الأميال . أسمع
المساعد بصوته البقري يقول :

- الشاهد : يومية الغياب ويومية الحضور .

أعرف . لا مفر . أنت محاصر بمراسيم الحل السري .
قناع الموت معد . وعليك أن تبني للخلاص فلأنا يطوى
وصاياهم العشر . من الذي يخرجني إلى سطح المقبرة ؟
الحاجز المزعوم يعجزني عن تتبع النيزك الشارد..

الأوسط يتابع "الخوار" في صمت هادئ . أين
الغضب؟. أنظر نحوه يتوسط الضابطيين . تحمل أكتافهما أربعة
نسور وأربع نجمات مطرزة . أرى في وجوه الثلاثة ملامح
طيبة يعرفونني جيدًا . كم جمعتنا ليال عديدة نتحدث ونتناقش
بعد أن تسكن الحياة عدا حركة حراس الليل المدججين
بالأسلحة . لكن الأوسط رغم الهدوء البادي ينطق بهدوء أكثر .
يصدر قراره القاتل واصفًا التهمة الموجهة إليّ .

- هروب من الميدان وقت الحرب .

فرددت الكلمات بصوت لم يسمعه سواي كلمة كلمة:
هروب .. من .. الميدان .. وقت .. الحرب . وكررت

الكلمات . لكنني أهتز . أحسست بملاكم ماهر يسدد لقلبي أعتى
الضربات . فأحتمي . أحتمي بحبال الحلبة مدافعاً متراجعاً لكن
دون جدوى .. اهتزت جسداً مكدوداً بفرامل القطار المتقل
الداخل إلى محطة العاصمة ..

"بدوت جندياً نظيفاً إلى حد ما بمساعدة
زملائي بالموقع . تمنوا لي وقتاً طيباً سعيداً
مع زوجتي الجميلة وابنتي الصغيرة ذات
السنوات الأربع . ودعني القائد وبعض
ضباط الموقع بابتسامة واسعة . منحني القائد
"إجازة خاصة" مكافأة على نجاحي في رصد
وإصابة الهدف المغير على الموقع . طائرة
رهيبة . تحطمت تماماً بالقرب من الموقع .
وقال لي القائد : أنت بطل يعتز بك "السلاح"
ويفخر بك الوطب. شكرته ..

ركبت قطار المساء الذي بدأ الحركة
في الرابعة ووصل في السابعة أو الثامنة أو
التاسعة . أو . أو . المهم وصل . كان بطيئاً

للغاية. خطر بذهني خلال سيره البطيء أن
أغادره وأقطع المسافة الباقية بقدمي: ابنتي
الصغيرة، وزوجتي الجميلة ضوء متوهج
وسط المفرقات والشظايا وتحت الدخان
الخانق ..

دست بنشاط أعقاب العشرين سيجارة
التي دخنتها، ووثبت من القطار، إلى باب
المحطة، إلى الشارع، إلى السلم، إلى الباب..
إلى باب مسكني خفق قلبي خفقة عنيفة
تعجبت لها قبل أن أدير المفتاح في كالون
الباب. دخلت. توترت ضربات قلبي ويدي
تلامس برودة مقابض أبواب الحجرات
الثلاث . الشقة خالية ! . آلمتني ضربات
قلبي وأنا أطرق باب الشقة المجاورة الذي
فتحته جارتنا العروس الحسناء وهي تبتسم
ابتسامة غامضة . كانت الساعة تشير إلى
الحادية عشرة وأنا أتسلم منها ابنتي ذات
السنوات الأربع . كانت نائمة . وضعتها في

السريـر وتمددت إلى جوارها أشعل سـيجارة ،
وسـيجارة بغير أن أشد منها نفساً .

فكرت وأنا أسحب دخان السـيجارة
الثالثة : عندما سألتُ جارتنا العروس
الحسـناء عن المكان الذي ذهبت إليه زوجتي
- ارتجف على شفتيها الجواب ولم تنظر في
عيني. ثم قالت هاربة من نظراتي ومن
أسئلتى : سلمتني البنـت وخرجت منذ
الصباح..

تنبـهتُ على حركة المفتاح وضوء
الصالة ودقات الكعب . كان الليل يدخل في
الواحدة حين نهضت إليها بجميع أدوات
الاستفهام .. لم تسرع إلى حضني كما كانت
تفعل ؛ تصلبت تمامًا في منتصف الحجرة
أمام السريـر ، فتقدمت أنا واحتضنتها.. لون
عينها دائماً في ذهني ، ورثته ابنتنا ذات
السنوات الأربع . صدقت سبب الخروج

وسبب التأخير . وكانت ابنتنا نائمة..
تمددنا.. قالت باكية بغير دموع : أنا لا أناد
الليل ولا يهنا لي في النهار بال .

نمنا . لم أهتم بابتسامة جارتي
الغامضة . لكنني ما لبثت أن صحت فزعاً.
عاد البطل المظفر .. وفكرت : رأيتني أقف
في وسط الذهن حاملاً ابنتي عائداً بها وحدي
دون زوجتي إلى الشقة الخالية ، ثم نمت
دون نوم في انتظارها لأراني أرصد الطائرة
المغيرة وأسقطها ، ثم انفتحت عليّ أفواه
تبارك وتهني بالصوت في الصورة في
الصدى في الدمار في دخان السيجارة
تضاعلت حتى الفلتر الأبيض" ..

(٢)

- العقوبة : الرمي بالرصاص .

.... -

- تحتاج إلى إيضاح أكثر ؟!

الأوسط القائد . حدد العقوبة . الإعدام بالرصاص جزاء الهارب من الميدان .

- تريد أن تقول شيئاً ؟

لا أريد ولا أحب . وليس لي أي طلب . لكن في سري . لست غاضباً ولست محتجاً . فبالحق نطقت . بالحق . مرحباً بالجزء الحاسم . الآن يا سيدي لست أشك في صلاحيتك لقيادة العالم . الآن رقبتي ملككم . وقلبي تحتكم . أنت يا سيدي أحق بالوسام المنزوع من الشراسة . أسيراً أكون لكم . أنت حكيم الحكماء ونابليون واسكندر المقدوني . لكن من فضلك : لا تقترب من خرافة الوصايا فأنا أعرف . المهم أنك بالحق نطقت . فمرحباً ..

النيزك الشارد ليس يمضي إلى غير هدف . لم ؟ .. والأمر الذي لا يقتعني هو لماذا تحاولون إعفائي من التهمة ؟ . حقاً أنا أسقطت الطائرة لكن ربما كان ذلك صدفة .. ربما كان غيري سيفعل ..

المغامرة الأولى والثانية والثالثة . هروب . هروب . هروب .. ثلاث مرات هروب ومع ذلك تعتقدون أنني ما زلت بطلاً . رغم أنني لست أكثر من ذرة رمل . بل لست شيئاً

مذكورًا على الإطلاق. فاسحقوا الذرة . وأنا مستعد . ألبس
قناع اللحظة المناسبة . قناع الموت الجزاء . هل يسمعون ؟!..
- ومع ذلك سأعفو عنك . سأعطيك، آخر فرصة لأنك بطل
أسقطت حتى الآن ثلاث طائرات مهاجمة .
- لا ..

أخيرًا أرد . أحرر لساني . أنطق بالغضب . أعترض.
فتتحرك جفون العيون الصقرية . توتر جبهاتهم متشابهة . "لا .
لا . وألف" لا أريد دون نطق ومن غير أن أرى . تغطي عيني
طبقة ماء كثيفة لا تسيل .. لاحظها الضباط الثلاثة لأنني رأيت
في عيونهم العطف والتعاطف..

(٣)

لا أتمكن من الصعود إلى سطح الملجأ . القاعة
الرسمية لأحسب المسافة الهائلة بين السطح والقاع . أفكر في
رتابة صوت قطار الرابعة الخامسة السادسة .. أفكر في ليل
الوحدة، وفي قول جارتي الحساء ذات الابتسامة الغامضة :
- خرجت .. منذ .. الصباح .

لماذا تبتسم دائماً جارتِي الحسناء .. أنت يا جارة
عرفت وتعرفين كل الوقائع . أنت عيني التي ترى وأذني
التي تسمع . فلماذا لا تصرحين يا جارتِي الحسناء ؟ ولماذا
يتردد الجزاء بطيئاً على الذهن كلمة بعد كلمة بعد كلمة بعد
كلمة بعد كلمة : "هروب . من . الميدان . وقت . الحرب" .
ومع ذلك فأنا مستعد . وجهي مستعد لقناع اللحظة السوداء
للموت رمياً بالرصاص ..

(٤)

أتيقظ. بصدى يأمرني بالحركة، صاعداً من جوف
سرداب تحت الأرض السابعة . الرماة ينتظرون . لكن أمر
القائد بالانصراف :
- انصراف ..

نفذ الأمر المساعد أول الهمام ذو الخوار البقري .
ضرب الأرض بكعبه الأيسر وصاح بي أمراً وحاسماً :
- للخلف در .. مارش ..

فتصدع بالأمر الحاد قدامي ، لتصعد بي من الملجأ..
درجة . درجة . درجة . درجة .. فلا أرى النور ولا

النجوم. أمشي أمام "المساعد الأول" مخترقاً دروب الموقع
بإيقاع أراحه ويتحكم فيه . أنصرف عنه لأتأمل عددًا من الجنود
يتابعون المشهد في حزن وفضول من مواقعهم الدفاعية . أبتسم
لهم ابتسامة أغالب بها إحساسي الحاد بقهر لم أجربه من قبل .
أقول بعيني : اطمئنوا . وصفقوا للبطل. فهم لم يتكلموا
بالموت. بعمر آدم حكموا ..

(٥)

ها هو الفضول يتحول عنك . تتجه الأنظار إلى الشرق
الخطير تأتي منه طائرتان نحو المواقع المتأهبة، الهدفان
مرصودان . صاح صوت بي وبالمواقع : غارة . غارة .
غارة. أنا نتوء بارز وهدف سهل . لا أنصت للأصوات
المحذرة .. لكن جندي يندفع نحوي ويسحبني إلى الموقع الآمن.
فلماذا ؟ أنا أرحب بالموت . وسيان عندي أن يكون بانتظاري
من لا ينام الليل والنهار أو لا يكون . لكن هل كانت جارتني
الحسنة صديقة عندما عرضت عيناها وملامحها بأن زوجتي
كثيرًا ما تغيب عن المنزل في غيابي ؟ . إن "الخيانة" صفة
فضفاضة بحاجة إلى "حكمة" سليمان كي أثبتها أو أنفيها . ولكن

أين هذه الحكمة التي بالقطع لن تأتيك، ولم يَملكها من قبل أحد؟. وما دمت لن تحصل عليها فالهروب هو الطريقة الواضحة لاختبار معنى نظرات جارتى الحسناء ذات الملامح القائلة..

(٦)

أجندني أشعر بالخوف وأنا أفكر في إجراء مغامرة الذهاب . أهبط إلى قاع "حفرة برميلية" بعد أن شكرت الجندي الذي جذبني إلى موقعه الحصين .. أتابع صمتاً صاخباً بعد أن طارت المدافع الطائرتين اللتين أسرعتا بالهرب . لكن حتماً ستأتي موجة أخرى . أعرف ذلك وأشعر به . حزنت لأنني لست في موقعي ، لكن ذهني كان قد بدأ رحلة السفر إلى العاصمة ..

(٧)

أنتظر . ستأتي الطائرات في الموجة الثاني قصفاً مركزاً، ومعها غراب قابيل . يأمرني صوت بلزوم القاع لأنجو فأفعل وأحمي رأسي ليتمكنني الرحيل أو الهروب لأعرف ما يجري ببيتي البعيد القريب : قالت هناك وهنا: أنت المجد، أنت

ابتسامة الحياة . وقالت هناك وهنا : أنتظر بك قلب لا يسأم الليل والنهار .. وقالوا هنا وهناك : أنت رائع وعظيم وبطل . وقالت هناك وهنا : أنت معي يا حبيبي طول الوقت . وقالوا هنا وهناك: أنت البركة أنت.. أنت.. أنا في كل مكان ذرة رمل طيرتها رياح ليل الواحدة..

"احتجت العاصمة لوطاة الحر وأنا
أسلك الشوارع بحثاً عن زوجتي . ابنتي
معها هذه المرة . رمال النهار الحارقة في
الصحراء لا تزورها نقطة ظل . لم أسأل
جارتني الحسنة عنهما ذلك المساء . ناديتني
هي وأنا أغلق الباب خلفي فلم أرد . طرقت
الباب . ولم أفتح . زاد الطرق ولم أفتح .
صممت : كسرت الباب أو اخترقته . لا
أدري . وجدتتها في الصالة تحدثني عن
الرائحة التي فاحت في الشارع والحي
والمدينة . أغمضت عيني وسددت أذني في
لحظة طويلة انهالت فيها ضربات الملائك
الماهر، بتركيز ومثابرة منه، وبتشتت وتناقل

مني. حتى حبال الحلبة لم أشأ الاحتماء بها .
لكنني وأنا مغمض العينين مددت يدي وعبثت
بصدرها على مرأى ومسمع من زوجها
الحي . ثم ركلتها ومضيت مطعوناً بنظرات
جريئة في الشارع لا ترحمني . نادى جارتي
من جميع النوافذ فلم أجب . أكره الكلام .
وعند عودتي في منتصف الليل لم تكن
زوجتي قد عادت . ودخلت جارتي دون أن
تطرق الباب.. اخترقته. اعتذرت بعينين
جريئتين وبابتسامة غامضة. أثارتني
فصفعتها. لم تغضب .. كررت الاعتذار
بنفس الجراءة والغموض . فصفعتها .. ثم
صالحتها لما غاب منها معنى العينين
والغموض المثير. ولكنني وأنا في ذروة
التهويؤ أن غادرت جرياً مسكني . ثم وجدتني
أتعثر وأنا أهبط السلم . ثم رأيتني أسقط ميتاً
وحددي في ظلام الثانية" على صوت جارتي
الحسنة يندلع من جميع النوافذ" ..

أرتكز في حفرة الفرد "البرميلية" واضعاً يدي فوق رأسي . قادمون لا شك بالموجة الثانية . أنزل يدي وأثبت عيني في رقعة دائرية بدت من السماء غير صافية ، مطابقة لفوهة الحفرة ..

أسمع هدير القنابل الساقطة وطلقات المدافع الصاعدة . عادوا . أسمع القصف القريب . أشعر بخوف لم يراودني من قبل . شرخ الضجيج الهائل الصلبة المزعومة . هل تسمع ؟ . عليك الآن أن تصعد لمواجهة قبائل قابيل . وأنظر أكثر . النيزك الشارد ليس يمضي إلى غير غاية . إنه داخل المدى المرسوم وليس خارجه ..

القصف يشتد ويتواصل وأنت بعيد عن موقعك قابع في حفرتك . فهل ستجو من العيون التي ترمقك في الذهاب والغدو؟. الإدانة على أطراف الألسنة . فأنت مذنب مذنب رغم الهدير ومشاهد الدمار . مذنب مذنب مذنب رغم انتهاء الغارة واتجاه الطائرات المغيرة نحو الشرق ..

أخرج من الحفرة . وأجلس على الحافة تحت السحب الدخانية . أصبح بكل الصوت : أنا مذنب مذنب مذنب . لكن

صوتي لم يسمعه أحد . يضيع ويتلاشى بضجة قطار الليل
يسلمني إلى مسكني الذي ضربه الحذر والغموض ..
أضحك عندما لم أجد أحداً يسمعي . أضحك وأبكي
بسعادة وسذاجة وجهل ابنتي ذات السنوات الأربع .. أراها
ضائعة في ليالي المدينة الحافلة بالأنوار والسمر والطرب ..
أسقط في الحفرة بإرادتي في لحظة استماعي إلى ثناء
زوجتي الجميلة على بطولتي الفريدة . قالت هناك وهنا : أنت
عظيم وأنت ابتسامة الحياة . أنت البطل ، فهيا لتشارك وتدفع
الخطر . لكني أتشبث بالقاع . أفكر في المشاهد والكلام .
أصعد بعيني إلى الرقعة الدائرية المطابقة لفوهة الحفرة ..
أسمعهم هنا وهناك يغالون في الثناء وأراهم يقدمون الهدايا
ويذبحون القرابين . فأنهض وأتسلق الجدار الدائري . عيناى
مثبتتان على الحافة الدائرية أغادر الحفرة . أتجه سريعا إلى
موقع مدفعي أصل إليه التصق به . سوف أسقط بمهارتي
وغضبي الطائرة المغيرة . لكن لابد من إثبات الخيانة أو نفيها
بالمغامرة الرابعة .

أبريل ١٩٧١

obeikandi.com

الفهرس

obeikandi.com

الفهرس

م	القصة	الصفحة
١	الفارس والعسكري	٧
٢	أغنية	٣٧
٣	المفقهود	٥٧
٤	الصباح الأخير	٧٧
٥	الجرح	٩٥
٦	الفهرس	١١٧

obeikandi.com

كتب أخرى للمؤلف

أولاً- الإبداع القصصى والروائى:

أ- المجموعات القصصية :

- الجرح: مجموعة قصصية، ط (١) لجنة النشر للجامعيين،
١٩٧١، ط (٢)، الأنجلو المصرية-القاهرة، ١٩٩١، ط(٣)
دار الإبداع ٢٠٠٨.

- الكلام: مجموعة قصصية، ط(١) دار الفكر العربي،
القاهرة، ١٩٨١، ط(٢) الآداب-القاهرة، ١٩٩١، ط(٣)
دار الإبداع ٢٠٠٨، ط(٤) بورصة الكتب، ٢٠١٣.

- أمواج الفردوس: مجموعة قصصية، ط(١) الأنجلو
المصرية-القاهرة ٢٠٠٥، ط(٢) دار الإبداع ٢٠٠٩.

- يوم: قصص، ط(١) أجيال- الجيزة، ٢٠٠٨.

- الصباح فى الوديان : بورصة الكتب، القاهرة ، ٢٠١٣ .

ب- الروايات:

- سلوى الروح: ط(١) مكتبة صقر ، طنطا ، ١٩٦٠ ،
وط(٢)، دار الإبداع ، القاهرة ، ٢٠٠٧.
- العائد بالحب: ط(١) دار الإبداع- القاهرة ، ٢٠٠٦ ،
وط(٢) أجيال - الجيزة ، ٢٠٠٨.
- فوق الأحزان: ط(١) دار الإبداع- القاهرة ، ٢٠٠٨ ،
وط(٢) إيزيس ، المنصورة ، ٢٠١٢.
- صخب الهمس: ط(١) دار الإبداع - القاهرة ، ٢٠٠٩ ،
وط(٢) بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١١.
- حقائق الخريف : ط(١) بورصة الكتب ، القاهرة ، ٢٠١٢.
- تحت الأحزان: ط(١) بورصة الكتب - القاهرة ، ٢٠١٣ .

ثانياً: الكتب :

١. فن القصة القصيرة عند نجيب محفوظ. ط(١) مكتبة أم القرى، الكويت، ١٩٨٤، ط(٢) الأنجلو المصرية ١٩٨٨.
٢. في البلاغة العربية (علم البيان). ط (١)، الأنجلو المصرية ١٩٨٨.
٣. قيم الإبداع الشعري في النقد العربي القديم. الأنجلو المصرية ١٩٨٩.
٤. تنوq الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. الأنجلو المصرية ١٩٨٩.
٥. في البلاغة العربية (علم المعاني). ط (١)، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩١.
٦. مقاييس الحكم الموجز في الموروث النقدي. الأنجلو المصرية ١٩٩١، ط ٢ ، بورصة الكتب ودار السياب بلندن ٢٠١١.
٧. الخطاب النفسي في النقد العربي القديم، ط(١) ١٩٩٣ مكتبة الأنجلو المصرية، ط(٢) ٢٠٠١ مكتبة الآداب، ط(٣)، مكتبة الآداب ٢٠٠٦، ط(٤) بورصة الكتب ودار السياب بلندن.

٨. فاعلية التعاقب في الشعر العربي الحديث. الأنجلو المصرية
١٩٩٥.

٩. جدلية الأداء التبادلي في الشعر العربي المعاصر. ط (١)
مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٥، ط (٢)، الأنجلو المصرية
١٩٩٩.

١٠. الصنعة الفنية في التراث النقدي. ط (١)، مركز الحضارة
العربية ١٩٩٩.

١١. طاقات الشعر في التراث النقدي. ط (١) الأنجلو المصرية
١٩٩٩، وط ٢ مكتبة الآداب، ٢٠٠٧.

١٢. إحكام النص الشعري في الموروث النقدي والبلاغي. ط (١)
الأنجلو المصرية ٢٠٠٠.

١٣. نظرية الإبداع الشعري عند النواجي. ط (١)، الأنجلو
المصرية ٢٠٠٠.

١٤. تجليات الإبداع الأدبي: دراسات في الشعر والقصة
والمسرحية. ط (١) مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٢.

١٥. أساليب علم المعاني بين النظرية والتطبيق. ط (١)، مكتبة
الآداب ٢٠٠٣.

١٦. الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق. ط (١)،
مكتبة الآداب ٢٠٠٣.

١٧. النثر الفني في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط
(١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٨. الشعر العربي في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. ط
(١)، الأنجلو المصرية ٢٠٠٣.

١٩. البنيات الكاشفة عند نجيب محفوظ دراسات في النص
القصصي من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٩٦. الأنجلو
المصرية ٢٠٠٤ .

٢٠. مرايا التجلي : رؤى نقدية كاشفة. ط (١) الأنجلو المصرية
٢٠٠٥ .

٢١. فيض القلم: مقالات في الثقافة والأدب. ط ١، الأنجلو
المصرية ٢٠٠٥.

٢٢. نجيب محفوظ حالما بالقمر. ط ١، الهيئة العامة لقصور
الثقافة ٢٠٠٦.

٢٣. الأداء التبادلي في الشعر العربي ، مكتبة الآداب ، ط (١) ،
٢٠١٠ .

٢٤. لعبة الضمانر في قصص وروايات نجيب محفوظ ، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١١.
٢٥. الخطاب الرئاسي في الأدب العربي ، مكتبة بورصة الكتب ، ٢٠١٣.
٢٦. الرسالة الرئاسية في الأدب العربي ، مكتبة بورصة الكتب ، ٢٠١٣.
٢٧. تقنيات السرد الشعري في الشعر العربي الحديث ، مكتبة بورصة الكتب، ٢٠١٣ .
٢٨. الرسالة الرئاسية في الأدب العربي ، مكتبة بورصة الكتب ، (تحت الطبع) .

obeikandi.com

الناشر

بورصة الكتب



مكتبة

بورصة الكتب للنشر والتوزيع

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ - ٠١٠٠١٨٨٩٣٦٣

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٢٨٧٩٧٢٧٩٧ -